حتى تُولَد بغداد كَعِشْتار الحُبّ

When Baghdad is born as Ishtar love

الكتاب: حتى تُولَد بغداد
كَعِشْتار الحُبّ
المؤلف: مصطفى غريب
عدد الصفحات: 220

الطبعة: الأولى 2019
الناشر: دار النخبة 6 شارع رجاء عبدالرسول، المتفرع من شارع وادى النيل
أمام سور نادى الزمالك – 01288688875
E-mail: alnokhoba@gmail.com

حتى تُولَد بغداد كَعِشْتار الحُبّ

When Baghdad is born as Ishtar love

ديوان

مصطفى غريب

النخبة
للطباعة والنشر والتوزيع
2019

1 - عودة إلى حَنينِ الخَلاص

خرجنا تِباعاً
خُروج السبايا
وكُنا نُريدُ الوصولَ بلا ضَجةٍ أو زَعيقْ
لنُنقِذ فينا الوِصَايَة
فتُهنا البَريدْ..
وقُمْنا نُفَتّش سراً زوايا المَطابِعْ
نُحَوّر في صَمْتِنا،
خَسيسَ اللُغاتْ
وكانَ حَنينُ الرُجوعِ المَناقِب في سِرِّنا
يَهُزُ القُلوبَ ويُوشي خَفايا المَقالِ بِبؤسِ السُؤالْ
وكُنا نَصيخُ السَمَاعْ
فجاءَ النِّداءُ الوَليدْ

بِبُوقِ الصِراطِ الذي صارَ فرضَ القَبولْ
عَويلٌ منَ القادِمينَ وعَبْرَ البِلادْ
عَويلُ المُدنْ
عَويلُ القُرى
عَويلُ الضِفافْ
عَويلُ الثَكَالى
عَويلُ الضَحَايا
عَويلُ الصَبَايا
عَويلُ الصِغَارْ
عَويلُ الأَجنَّة
عُويلُ الرِجالِ بِعارِ الهَزيمة
صُراخٌ مَديدٌ شَديدُ السُخونة
فَذابَ الحَديدْ
وعَمَّ العَرينَ الخَواء
بِطُولِ الزمَانْ
وصارَ الوِصَالُ الدّمارْ

وشَحَّ التّأصُلُ في حَالِنا
وراحَ التَنصُلَ من دُورِنا
قِياساً .. لِزاماً
وقُلنا غَداً
سنَمْشي سَويةً
لِجَوفِ السُكونِ العَميقْ
ونَفْدي النُفوسْ
وحالٌ فريدٌ بِدَعوَى الصِعابْ
فقالوا.. جَفافاً،
وقالوا.. خَرَاباً،
وقالوا.. وَباء
وحِقْداً يَعُمُ المَدَى.
فَضاقَ المَكانْ
وقالوا.. صَباحاً جَديدْ
فَماتَ الدّليلْ
وحُزْنُ القُلوبِ السَجينْ

يُساوِي الطُلوعْ
وكُنّا نَصِيغُ الطُقوسْ
وكانَ الرُكوبُ على ظَهرِ مَوجٍ الأَنينْ
بِدعوَى المَكانِ المُقدّسْ
سَيَنهي الجِراحْ
وكُنّا حَيارَى.. منَ الغَدرْ
وكُنّا سَكارَى.. منَ الهَجرْ
وكُنّا أَسيرَينِ للوَاعِدينْ
وعِشْنَا الهَجينْ الذي ظَلَّ في جَوفِنَا كاللَّعينْ
وسمٌ ثقيلٌ أضيفَ الوصولْ
فصارتْ نُفوسُ الزَرَافاتِ تَحْتَ السُطورْ
تُحاكِي بِرَفعِ المَرَارة
وأَصْداءُ أَصْوَاتِنا
أَغانِي دَفِينةْ
أغاني تَقولْ

صَباحاً يَعُمُ ولَكِنْ

بَقايا الظَلامْ

تَسُدُ الدُروبْ

وتَفْتَحُ فينَا جُروحاً عَديدَة

جُروحُ الضّحايَا

جُروحُ السّبايَا

وحُبُ الرُجوعِ الخَزينْ

كحُبّ البَقاء

كحُبّ انتِمَاء

كحُبّ ارتِبَاطْ

وفينَا حَنينُ الصِراعْ

حَنينُ الخَلاصْ مِنَ السُقوطِ القَدِيمِ الجَديدْ

قِيامُ الخَلاصْ

الخلاصْ

الخلاصْ.....

31 / آذار / 2008

2 - حتى تُولَد بَغدَاد كَعِشْتارِ الحُبّ

تَستَيقِظُ هَذي المَخْلوقَاتْ
في الدْفءِ وفي البر دِ على لَحَظاتْ
لِترَى في الخُلوةِ قانوناً
الصّمتُ العَاهِرِ في دَرَجاتْ
يَقدُمُ أحْيَاناً
في غَفْلةِ عُمْرٍ مُتَغير
تَصْعُبُ فِيه الرُؤيا والتّشخيصْ
يَأخُذُ مِنّا ما نَملِكُ أولا نَملِكْ
لَحَظاتُ النّشوةَ والفِكْرة
نَأخُذُ مِنْه قِسْطاً مِنْ تَعبٍ مضنٍ
في غُرفِ النّسيانْ
وكُهوفٍ مُظلِمةٍ مَعْزولةْ

مِنْ مَوعودٍ في القُربانِ المَنْسيّ
قربانِ الأجْسادْ
فيقولُ المُترَفُ عَمْداً
أنَّ الغَفْلةَ كاملةُ العقلِ
بمُصادَفَةِ الوَقتِ
يَتحَكمُ فيها المَوروثُ مِنَ المَاضي
لِتَضيعَ حُدودُ الأَطرَافْ
عِنْدَ خُطوطِ الظّنّ
لكنَّ المُستَغرَبُ في الفِطرَة
أنَّ الأمرَ الآخَرَ
مَقْسومْ
في شَطرَينِ مِنَ العَالَمْ
الصّمتُ المُتفرِعُ مِنْ خَوفٍ
قاتمْ
المُتعَرِجُ والمَنْفوخُ على المُدنِ المَصْلوبَة

بَغْدادُ الأُنْثَى
كالجُثَثِ المَنْحورَة في كلِ فُصولِ العامْ
أو قائمٍ في التَلويحْ
المُتَقهقِر في سِروالٍ مُتَهَرِئ
بينَ الأفْخاذ
بلثامٍ أَسودْ
الصّمتُ الخَوفُ المُتَجلي
في رَدْهاتِ الرُوحْ
يَنْسَلَ يَهُزُ الرَايةْ
تَسقُطُ مِنْها الرَعشَة في تَرتيلٍ مَشْلولْ
هُولاكو القَومي الجَزّارْ
المَتَديّن في جَوفِ التّعذِيبْ
هو آتٍ في غَيبِ الأَحْكامْ
أقوالُ الحِكْمَةْ
وتُقابِلُها الغَفْلةْ

في فِرْسانِ الصَمْتِ هُلاميين المَنْطِقْ
في الطَبّالين لهُولاكو الجَزّارِ القومي
المُتَدَيّن في غُرَفِ التّهذيبْ
نحنُ إذاً مُحْكومين
بالصّمتِ الفِطرَة
بالصّمتِ الغَبْرَة
بالصّمتِ الفاتِحِ عَينَيه
بالصّمتِ المُلْتذِ على صَبْرِه
بالصّمتِ الفاقِدِ عُذْرِه
بالصّمتِ المَحْبوسِ بِلا عِبْرة
بالصّمتِ المَفْروضِ عَلينا في الدْعَواتْ
نَبْقىَ مَرهونينَ ونَقْبلُ في الإعلانْ
لا نَزعلُ مِنْ عَقْلِ الرَجسِ
أو حقٍ مَهضومْ
وتراثٍ مَوهومْ

وشجاعة تَكمُنُ في غُرَفِ النَومْ
اللّحيةُ أفضلُ مِنْ شارِبْ
نَلبَسُ رأساً مَدعومْ
نُفرِجُ عنْ ساقَين
نَلبَسُ أثواباً للرَقص على الأُشْلاء
نغفلْ.. فيقولُ المُترَفُ قَصْداً
الغَفلَةُ أصلُ الحِكْمة
لا نَخرجُ مِنْ جِلدٍ مَرْقومْ
نجعَلُ في النومِ قوانيناً مثْلومَة
بالزّمنِ الماضي
الزّمنِ القُنفُذْ
راحَ ضَحيتُه
عشرةَ أضْعافِ المأمولْ
الزمنُ المُتعددْ
ها نحنُ على الأبوابْ

بابا باب

نَستجدِي طولَ الوقتِ مِنَ الجلّادْ

أنْ تَبْقى بَغدادْ

كبلادٍ.. حتى لو كانتْ حَدْباءْ

ها نحنُ على الأمْصارْ

بابا باب

الرايةُ بالمَقلوبْ

المَطرُ الكيماوي

أصبحَ ملزوماً

خُطوة خُطوةْ

بخُطوطٍ مُلتَويةْ

تتَمثلُ فيها

أدراجُ عُيونٍ.. مَخزونةَ باللّونِ المَفْقودْ

المطرُ العازِلُ في صحراءِ التيه

أصبحَ مألوفاً

ورفيقْ

المطرُ المُتقطِعْ

أصبحَ عُنواناً.. لِمَجانيقِ النارْ

مِنْ أجسادِ التّخْمينْ

فعِراقُ الدمْ

لا يُنتِجُ غيرَ الدمْ

وهياكلُ مِنْ جِبصينْ

لا يُنتِجُ في الوقتِ الراهِنْ

في زمنِ المومْياء الجزارين

إلا فرسان الصمت هُلاميي التّرجيحْ

أعوامُ الصّمتِ الغادِرِ في وَصَفاتْ

لا تُنتِجُ إلا الهمْ

أعوامُ المِحنَة

لا تُنتِجُ إلا أبراجَ المَوتْ

وأغاني دِينية

وفِخاخاً.. للمَحْرومينَ مِنَ الأمواتْ
والضّربُ على الصدرِ المَكْشوفْ
ورؤوسٌ مَرمْية
وأراملُ مُسْبياتْ
أطفالُ العَبثِ الأمريكي المُتَعلِبْ..
رُسوماً في الجُدرانْ
ورِجالُ الدينِ المَهروسينَ بحبِ الراحةِ والمُتعَة
يَعبَقُ منْهم جِيَفُ المَوتَى
تتشكلُ في ترتيبٍ قُدسيّ
لسرابٍ مثلَ الماءِ على كَتفِ الصّحرَاء
لسرابٍ مثلَ عُيونٍ خَلْفَ سَتائرِ مِنْ مَخمَلْ..
تثقُبُ جُنحَ الليلِ
لسرابٍ مثلُ ضباءٍ
تركضُ خَلفَ الصّيادْ
الصّمتُ النادرِ في الإيمانْ

بالصّمتِ الأرعَنْ

بالصّمتِ الراضي..

الصوفِي الطيّبْ

بالصّمتِ الأرغَنِ في الأوتارْ

بالصّمتِ المَرعوبِ مِنَ الرُعبِ القادمْ.

بالزمنِ المُتقلِبِ حينَ تَضِجُ الأصواتْ

تَقدُمُ في غفلةِ عُمرٍ عَسرٍ

مَصحوبٍ بالعاهاتْ

فتكونُ الساعاتُ على الأبوابْ

باباً بابْ

وتكونُ دقائقُ منشوراتْ

وتكونُ البشرةُ قدْ غابتْ

ويكونُ المعلولُ على رأسِ حِصانْ

لا نقربْ

لا نهتزْ

لا نتأثرْ

لا نبقَى مرزومينْ

الصّمتُ اللُعبةُ فنُ المَكرْ

أفضلُ ما في هَذي الدُنيا

أن لا نهربْ

لا نهربْ

لا نهربْ

كي ننزعَ ثوبَ الصّمتِ العاهِرْ

حتى تُولَد بَغدادُ كعِشْتارِ الحُبِّ

وتعلو الأصواتْ

وأهازيجُ النّخوة

وأغانٍ تصدَحُ في ترتيلٍ قُدسيّ

بغدادُ لنا .. آهٍ يا بغدادْ.

2008 / 6 / 1

3 - صخَبُ التّحَولِ عن الضّبابْ

في صخَبِ النّزوحِ نحو سُلمِ الضّبابْ
أرحلُ مِنْ مرافئِ الوصولْ
أُفتشُ السّهلَ على مداخلِ القُرَى
ثُمَّ أغيبُ كالهلالِ زاحِفاً،
في رَجفةِ الوَهمِ مِنَ الفُصولْ
أقبعُ قُربَ فُوهةِ التاريخِ عندَ الأضرِحة ..
وأنتظرْ.. في ساحة الأيامِ والسنينْ
مِنْ ألفِ ألفِ شاخصٍ تَجيءْ
مِنْ رحلةِ السّديمِ في علامةِ البِشارة
تأتي الخُيولُ النّرجِسيّة
سَنابِكَ الحديدِ عندَ شُرفةِ العبورْ
تدوسُ خاصرَتي

تكونُ جُثتي
مَرهونةً على الطّريقْ
ترقُدُ قُربَ النهرِ في انتِظارْ
تخرجُ مِنْها في صخبْ
عجائبُ البِحارْ
تخْضرُ في أوصالِها
فسائلُ الغضبْ
بعدَ الحريقْ
تجلسُ جُثتي وتتكئ
شاخصةً كالمثلِ القديمْ
تمرُ قُربي مِنْ قبائلِ الهَجينْ
أفواجُ مِنْ مرابِطِ الخُيولِ فوقَ ظَهرِها
فِرسانٌ مِنْ إعصارْ
فَتُبْهرُ العُيونُ والعُقولْ
أسألُهم..

كيفَ هيَ الفُصولُ في تقْسيمِها
في عُمقِها، وفي مُرورِها المَرهونِ للزمانْ
هل أسفرتْ عن وجهِها؟
هل نضجتْ؟
أو أنتجتْ براعِمَ الخُروجْ ؟
قبائلٌ تأتي مِنَ الشتاتْ
قبائلٌ تأتي مِنَ الضّياعْ
قبائلٌ تأتي بِلا شِراعْ
قبائلٌ تأتي وفي يدِها الكِتابْ
تصدَحُ في النُواح..
مَرّ الخريفْ
مَرّ الشتاء
مَرّ الربيعْ
والصيفُ جاءَ مَهموماً يُصارِعُ البَقاء
في صوتِه النَّشيجُ ينشدُ بالرنينْ

وارتفعُ الألمُ الخَزينْ
تآكلَ الجسدُ المُموهُ في الحروبْ
مِنَ الرَصاصِ والدُخانْ
مِنَ البُرودةِ
والصّقيعْ
مِنَ الثلوجْ
ومِنَ المطرْ
مِنَ الرَّياحْ
مِنَ السَّمومْ
ومِنَ السَّديمْ
مِنَ الجفافْ
ومِنَ العُقوقْ
ولم يكنْ مُفاجئاً
عُقمْ الربيعْ
فلم تكنْ أشجارُنا

خضراءَ بلْ عنْقاء
وبيوتُنا، كأنَّها وترٌ حزينْ
وجاءَ صيفُنا المَريرْ
فشَحتْ الأنهارُ والسواقي
وبقَى لنا الخرابْ.
تآكلُ العقلَ السليمْ
قبائلٌ سكتتْ على الفِطامْ
ونمَتْ على جسَدي الطحالبُ قاتِماتْ
شبحُ السُفودْ
وتربَعتْ فوقَ العُيونْ
مفاصلُ الألمِ الدفينْ
تمرُ قُربي مِنْ قبائلِ القُرى
يغمرُها الترابُ والقذَى
وجُثتي تغوصُ في الرمالْ
تنتظرُ الأملْ

في صخَبِ التحولِ للوصولْ

في غابةِ الحريقِ والردَى

تنتظرُ القُلوعُ نحوَ ساحةِ الصخَبْ

حتى تصيحَ بالضبابِ يا ضبابْ

لتنقشعْ..

عنِ العُقولْ

ولترتفعْ..

قبائلٌ تأتي إلى الصراعْ

بعدَ انقطاعْ

2007 / 10 / 10

4 - ثقافة الإنتظار

سِترةٌ مِنْ رَصاصْ
ورصاصٌ ثقيلْ
ورؤوس تميلْ
تثملُ في الطريقْ
مِنَ الزَعيقْ
مِنَ الضّجيجْ
مِنْ أينَ يأتي
الإصفِرارْ؟
وكيفَ يأتي
مُتْخماً
وناضِجاً
بسُلمِ الأُولى الملاءات الرياء
في سِترةِ الرَصاصْ

ذاك الرصاصْ، في ثقلهِ

كنيزكٍ يحوي الحقولْ

يمتدُ في عُمقِ البُيوتْ

كالعُشبِ يمتدُ ثَراه

يسكُنُ في أُسطورةِ الرَواجْ

تَبتْ في جَناحْ

مِنْ بدعةٍ

لساحرٍ

ثقافة انتظارْ

انتظروا..

فالريحُ جَمرةُ النُواحْ

مِنْ أينَ يأتي

الإندثارْ؟

مِنَ الهُروبْ

2009 / 9

5 - ألواح غياب ندا سلطاني[*]

درّبتُ نفسي هكذا،
مُتجَذِراً في بِرقِها
مُتحَفِزاً للنَيلِ مِنهم
وعَبَرتْ قاسية الهمومْ
مُتداركاً كلِ الحنينْ
وقُلتُ ها.. غيبي عنْ ذاكَ الطريقْ
عاقبتُ نفسي يا ندا ❋
وأسفتُ أنَّ اليومَ غابَ عنِ الجَوابْ
ولا جوابُ على المَضيقْ
وحلَ في الألواحْ ومِنْ بعدِ السُكوتْ
رمزٌ من النورِ المُفضّض بالنُّجومْ
غزالةُ الألقِ المُفعَمِ بالسّجايا

(1) ❋ شهيدة إيرانية أثناء انتخابات 2009

وعندما حلَّ المَساء
تكتّم الكونُ حَزيناً
وجدّتُ نفسي في الهواءِ مُعلّقاً
مثلُ المَسيحِ على الصّليبْ
فسَبحتَ نحوَ رجفةَ الغَيمِ البَعيدْ
كأَنني
حَمامةٌ تُصفق جناحيها بلا رفيق
فقلتها .. قومي إلى الطريق
هذا الرصاص على الجسدْ
فندا تقولْ..
جسدي تدفقَ من سِيولْ
وعليه مِنْ أثرٍ قديمْ
جُرحٌ تدثَّر في السنينْ
جُرحٌ من البحثِ المكانْ
فقُلتُها..
مُري ولا تبقينَ قُربي

تدثَّرتْ نَفْس الألمْ

وبقتْ على صمتِ الحدودْ

مرهونةً

مصعوقةً ترفضُ أنْ تغيبَ

في البحرِ العجيبْ

وندا القريبةُ كالعيونِ إلى الجفونْ

لكنَّها غابتْ عنِ الوقتِ المُحصَّنِ بالقلوبْ

ودِماؤها صارتْ نسيمْ

أظهَرتُ ظِلي في الغيابْ

فتعَفَّرتْ جبَهاتُنا،

بالنارِ في حقلِ الدماء

وتقافزُ الخبرُ المُجَلجَل بالحَريقْ

ندا الصباحْ

في صدرِها نَزْفٌ يدورْ

جُرحٌ عميقْ

برصَاصِ باغيةِ الجَناحْ
وزغردَتْ ألسِنةُ التَّكفيرِ بالدُعاء
كأنَّما.. لاحَ انتصارْ
وإذا الصباحُ كأنَّهُ يومُ الحِسابْ
وإذا السماءُ تُغَيّر الألوانَ من فرحٍ لحُزنٍ مُستديمْ
والوردةُ الحمراءُ تنْزفُ في السعيرْ
لكنَّها تَحنو على الميراثِ ترتدي لجيلِها،
درعَ الحَناجِرِ في الشوارعِ والبُيوتْ
ومرةً أُخرى ستبزُغُ مِنْ رَميمْ
نَجماً كنَجمِ الفجرِ يهدي الثائرينْ
بالضدِ مِنْ غَولِ العُقولْ
وعلى مظاهرِ مِنْ قوىَ التَّنجيمِ والعقلِ المُفَخخِ
بالرَّطينْ
درَّبتُ نفسي قانِعاً أنَّ التوابعَ راحلونْ
وسيَرحلونَ إلى السحيقْ

2009 / 7 / 8

6 - كُلما أَمُدُ قامتي إلى العراقِ تَطولْ

كُلما أُديرُ راسي
نحوَ ناصيةِ الجُسورْ
أرى شجراً من الإسفلتِ يَستقيمُ أمامَ رؤيتي
يَضِيقُ على امتدادِ المرورْ
أخوضُ حديثاً مُفعماً بالتَّمني
مِنْ عِبرَةِ السُبلِ الجُذورْ
أَلِحُ على العراقِ، أتمناه مِنْ قلبي
غاباتُ ليمونٌ ولوزْ
غاباتُ زهورْ
ورحيلُ الخريفِ سَويةً بصحبةِ الجائرينْ
الغاصِبينَ وجوه النِّساء
اللاعِقينَ دم الضّحايا، الناهِقينَ أعلامِ الخَرابْ،
المُلوَثينَ بالوَباء المُستديمْ

أفْككَ حُزنِي مَطلباً
سويةً نُغني نَخلُقُ المكانْ
سويةً نُغني نُغير الزمانْ
سويةً نَسعَى لرحيلِ الريحِ والثالوثِ المُلَثمِ بالسَّوادْ
سويةً نصعدُ المُنعطَفَ الأَضيَقْ
نغسلُ الأرضَ مِنَ الأدرانْ
مِنْ على ضُلوعِكِ يا عِراقْ
نُزيلُ حقدَ اللَّاعِناتْ
ليبقى عراقُ النورْ..
كُلما أفحصُ نَفْسي مَبهوراً بإسمٍ مِنْ بين أسماءِ التَّهجِي
أرى سَنَةً أُخرَى مِنَ التَّهجِي
أرى غيلاناً ماسِكاً كيسِ حِنَّاء
خلفَ غاباتِ التّصحُرْ
يدهنُ ذيلَه بالزيتْ
يدهنُ عينَيه رماداً
يدهنُ صوتَه بالدَّهاء

يلفُ حولَ أسوارِ مَدينتِي بَغدادْ

فأغوصُ في لَحْمِي

ثلاثة أشلاء تنامُ بمُهجَتي

تُقارِبُ الضَوء

تُبَخرُ قامَتي

فتظهرُ الرّوابي بالنُتوءاتْ

تظهرُ أسوارُها المنْسيَّة

على شكلِ دائراتْ

أقولُ داعِياً: ليَكتمِلَ النِّصابْ .

«صوت:هكذا تظهرُ امرأةٌ في حُلةٍ ذَهبيةٍ مقْطوعَةَ النّهدينِ، طِفلٌ فقدَ أُمَه مُصابٌ بطرشِ الإنفِجارْ، تظهرُ وردةٌ على الرصيفِ تدوسُها الأحذيةُ الجلديةُ الثقيلة، وتُضيءُ نجمةٌ خضراء ساحةَ المدينةِ المُبللةِ بالدمِ، بالتّماثيلِ المُحنّطةِ بالشمعِ، لمْ تكُنْ الساحةُ مأثرةً بالسّنابِكِ، خاليةً تماماً ليسَ مِنَ الشحاذينْ، أقوامٌ لا تقترِبُ مِنْهم، بجانبِ النّهرِ تَسيرْ، تمرحُ الفتياتُ قُربَ أشجارِ النّخيلِ السوداءِ، رؤوسٌ مملوءةٌ بالكؤوس وماءُ أزهارِ الدَفلى، الطُرق مُغطاة بالترابِ الحجَريَ، الرملُ يسقطُ كأوراقِ الأشجارِ التي تتساقطُ في اندثارٍ يبشرُ بالظلامْ».

كلما أضعُ الكأس قُربي
أَمُدُ قامَتِي نحوَ العِراقْ
تعودُ ذاكرتي إلى الوراء
تُخَرّمها الوجوه المُستديرة
ينكَسرُ خاطِري
أَتذكَّرُهمْ
أحياءً أو أشكالاً،
مِنْ ضَبابٍ مَنْحوتٍ مِنْ طَبشورْ
أقيسُ المسافاتِ إليهِم.
أبتَغِي سلّم الرَغيفْ
ألومُ نَفْسي بالإنْحِسارِ البُكاء..
كلّما اليأس يُطيلُني بشرِ النُحورْ
أُهرولُ إلى فُسْحةِ التّفاؤلْ
فأجدُ ورقةً مِنَ التوتِ القَديمْ
أَتَسَترُ بها مِنَ نُذورِي
فقامَتي وَرَعي

أُكمِمُ فَمي بالسّكونْ
واثِقاً في زمانِ اللُغاتْ
يُعلمُني الرّأفةَ وفنّ السُكوتْ.

«صَوت: هَكذا تَبدو الأعمِدةُ صامِتة، خُرافاتٌ حَديديةٌ تدورُ حَولها، النّافِخونَ في الأبواقِ يُجَهِزونَ بنادِقَهم، الفنّانون، الرّسامون، المُغَنون، الموسِيقيون، المَسرَحيون، الشُعراء الكُتّاب الفُقراء، الفُقْهاء، المُثقَّفون.. تَتسلطُ عَليهم عَباءاتٌ مَحْصية، اللُقَطاء، القَوادون، الرّدادون، المَسَّاحون، المَنْسوخون، المَخْصيون، اللّوطِيون، الفارّون، الحجَّارون، الفاجِرون.. أصحابَ الخُطبِ العَصْماءِ، الفِتنِ السرّيةِ في بِركِ الفَتوَى، الرّأبُ لنْ يكونَ إلاّ شَقّاً مِثل أرضٍ يَشُقُها الغُبارُ النّووي».

كُلّما أضعُ القلمَ جانِباً
أرَى سُنةً زرقاء
يَسقطُ قمَراً أزرقْ
تتفتتْ نجمةٌ زرقاء
تعثَرُ الفراشاتُ الزرقاء
بحزمةِ نارٍ أزرقْ
وتقومُ قامتي الزرقاء

تنثرُ العَبَراتِ مِنْ رِئتي

تُراوِدُني رَغبةً زرقاء

أنْ اَشقَ جانِبيَ

وأحرِق خاصِرَتي الزرقاء

أمسِكُ القلمَ تارةً

أخُطُ أسماءَ المُثقَلينَ بالنّوباتْ

نورٌ أزرقُ فوقَ العَينْ

نورٌ أزرقُ فوقَ الحاجِبْ

نورٌ أزرقُ

بلونِ سَماءِ المَنْظورْ

«صَوت: تَصعدُ مِنَ الحالِكِ السُفلِي وَطاويطُ مُفخَخةٌ حَنْكية، تَتأقلمُ الأجْسادُ تُصبِحُ رُكناً هادِئاً لا أصواتَ لها، السُباتُ يَفصلُ ما بينَ الحَرَكةِ والسّكونْ، تَظهرُ امرأةٌ مَحشورةُ الرأسِ في قارورةٍ فُولاذٍ مَصقولْ، تَظهرُ وردةٌ ذابلةٌ مِنْ خَريفٍ مَخْبولْ، وتُضيءُ نِجمةٌ زَرقاءُ الشواطئ والوُديانِ والقممِ المَهجورةِ، لم تنبسْ الأغاني سُوى جِبسٍ وطينْ، جبسٍ ودمْ، جبسٌ يُثيرُ الرّغباتِ، جِبسٌ مُحَنطْ.

كُلّما أرفعُ حاجِبيَّ
أسمعُ طَنيناً بَشرياً مِنْ أسفلِ الجَحيمْ
مِنَ العالمِ السُفلي
هُم يُدرِكونَ ثِمةَ إثمٍ يَتَبرعَمُ فِيهمْ
يَتبَرعمُ مِنْ مَخالِبٍ وأنيابْ
يَتَبرعمُ مِنْ جُثثٍ مَهجورة
يَتَبرعمُ مِنْ لِهاثٍ في الفِطرِ المَسمومْ
يَقيسونَ أَنْفسَهم بالقُدرةِ على خَلْقِ السّديمْ
يُجاهِرونَ بالرُؤيا
يُفكِكونَ الوقتَ المأزومَ بالتأزُمِ والوُعودْ
يَصعدونَ أفراداً وجَماعاتْ
يَخُطُّونَ شِعاراتِ المراحِلْ
كلُ مرحلةٍ لها وَطاويطُ مخالِبْ
كلُ مرحلة لها أطنانٌ مِنَ النّفاياتْ.

«صَوت:لم تكُنْ حاصِداتِ الهَوى إلاَّ أغاني عَنْ شِعاراتِ المَدائنْ، غَفوةُ القومِ على الأنْهُرِ غاياتٌ تُراهِنُ في الزمنِ بكلِ ما مَرَ مِنْ قَهرٍ

وجبسٍ ومَللْ، يُقِرُ النّاسُ أنَّ المشيَ أفضلُ مِنْ جُلوسِ الظِلِ والدِفءِ العَميقْ، لنْ تُراوحَ تِلكَ أقوامٍ مِنَ القَوسِ قُزَحْ، تتداخَلُ ترفُضُ الحَدباءُ كي لا تَضيعْ، تتَمطّطُ الرغباتُ حتى تتساوى اللّعناتْ».

كُلّما أحجزُ وَقتاً مِنَ الفَصلِ
تتقدمُ فُصولٌ بدونِ إذنٍ مِنْ زمانْ
وسَيلٌ مِنَ الانقِسامْ
عن استيعابِ المكانْ
جُموعُ الُركنِ العَجيبْ
عن حنينِ المركَباتِ القادِماتِ مِنَ المَغيبْ
جُموعُ الوَطنِ المُلويَ ذِراعيهِ
فتُضيءُ الشُموعُ أركانَ القُبورْ
أرى قبْراً وقبْراً، وقبْراً بينَهما سَليطِ اللّسانْ
يُنادي: قرابينَ العِراقِ الذي بَنى للإنسانِ حَرفاً
دمٌ وجبسٌ وعِظامْ
فتخضعُ الأسئلةُ المُستقاة
للجَوابِ المُحيطْ

لثلةُ القُنوطْ

أمُدُ قامَتي فأرَى العِراقْ

قُببٌ وغَاباتُ نُجومْ

جبسٌ وأنهارُ دِماء

وفُلولُ الهاربينَ مِنَ الضّياعْ

لكنَّ ضوءً أزرقاً

يغسِلُ دفتَيه

ويَحيلُ ظلامَ المُوبقاتِ إلى نورٍ يَجيءُ مِنْ أقصى الشِمالْ

الشمسُ والماءُ في خاصِرَتيه

هُما الربيعْ

بالدفءِ ينهَزمُ الخَريفْ

يَبقَى العِراقْ

حِصانُ السِّباقُ الجَديدْ

يَبقَى العِراقُ علاماتُ العَطاء

يمُدُ قامَتي بالطولْ.

2010 / 1 / 2

7 - خُصوصيةُ الرجلِ في المَقهى المُظلِم

لا افهمْ..
دندنة الرجلِ الجالسِ
في رُكنِ المَقهى المَأزومْ
رأسٌ أصلع
وجهٌ جارحْ
عَيناهُ هُلاميةُ التّكوينِ كقِنديلِ البَحرِ السامْ
أنفٌ مَعقوفٌ ذو مِنخارينِ كَماخورٍ مَعطوبْ
وفمٌ مثلُ الكهفِ
يَنفخُ كالدُخانِ كلاماً لا مَحكومْ
لا يجنحُ للتّهدئةِ
يتحوّلُ مثلُ فصولِ الطقسِ
باردْ .. حتى ثلجيَّ
صَدَفي.. يَتقوقعُ باللمسِ

شَجَني مثلُ الورقِ الذابلِ
حارٌ.. يعصِفُ بُركاناً أحمرْ
تتصاعدُ مِنْ كلِ القسَماتِ المَوسومةِ بالحُمرة
أبخِرَةٌ صَدَفيةْ
وأنا لا أعرفُ مَنْ كانَ يُجالسُه
قبلَ اللّحظةْ..
لِدُخولِ امرأةٍ مَهروسَة
مثلِ اللّوزِ الحارْ
عَيناها فتحةُ بارودْ
لم تجلسْ..
بلْ وَاقفةً تتحدثُ تهتز تُؤشرُ في غنجٍ عسلي
قالتْ: مِنْ أين أتى ؟
قل لي: والى أينَ سيذهبْ؟
فسلامٌ عِندَ ولادةِ هذا الضَبعِ
وسلامٌ عِندَ التّعميدْ..

بِعُجالةِ رُوحٍ مُتعبةٍ
قلتُ سَريعاً وختمتُ حَديثاً بالدعوةِ للتحذيرْ
يا شَعبي الزاحِفُ نحوَ مقابِرِ مِنْ فُولاذْ
قُمْ واخرُجْ مِنْ مَقهى الظُلمةْ
ونقلتُ الأرَجوزة بالأُهزوجَة
قُلتُ: كمْ نِجمة تَسقُطُ في المَقهى
كمْ خطٌ وهميٌّ
ينسابُ على ظهرِ الجوالْ؟
من عصرِ الأحجارِ أتى/ وسيَدخلُ عصرَ الأحجارْ
قالتْ راجِعة: الودُ سرابْ
والصمتُ عذابْ

.....

في الركنِ بعيداً
يجلسُ لا يأبهُ بالنّظراتْ
رُكنُ المَقهى الأظلمُ مِنْ كُلِ الظُلُماتْ

ثِمةُ لَوحاتٌ غامِقةٌ
فيها الخيلُ رؤوسُ نَخيلٍ سَوداء
فيها الأعرابُ سُيوفاً مَغمودَة
فيها الكُردُ بَقايا التثْليثْ
فيها الأقوامُ شَتاتُ الأصْقاعْ
والغِزلانُ البَقَراتْ
يتَوطنُ على اللَّوحَةْ
وأدٌ يدخلُ عقلَ التاريخْ.
ما بينَ الرُكنِ وبينَ اللَّوحة
دخلتْ – امرأةٌ عامرةٌ سَمرَاء
دخَلتْ ـــ فَجأة
اضطجَعتْ عِندَ البابِ الخَلفيّ
مثلُ الجنيّةِ كانتْ
لمْ أفهمْ..
أنَّ الرجُلَ الجالِسَ في الركنِ

كانَ يُنادِمُ نَفسَه
يَتتبعُ خِلسَةْ، صدرُ المَرأة
يلمِسُ ثَدييها بالحسَراتْ
يلحَسُ إصبَعَها في شبقٍ مَخفي
ويراقبُ بالأناتْ

.. ..

في المَقهى
صمتٌ يتنوعُ ما بينَ القدحِ وبينَ المدحْ
ما بينَ الضحكِ
وبكاءِ أفلجْ
ما بينَ الصَخبِ المُستفحِلِ في القومِ
صوتُ الموسيقى يصدحُ كالمارشاتْ
وغِناءٌ مِنْ صوتٍ مَبحوحْ
فيَعِجُ ثنايا المَقهى بالهمسِ
الرجلُ الجالِسُ مُنفرِداً

يُدلي باللومِ على الأصواتْ
المرأةُ عِندَ البابِ
تَتلوى مِثلُ الحَيّةْ
قالتْ – هذي رُؤيا بالميراثْ.. تَتلو الفصلَ
على جيلٍ أخرسْ
هذا المَوعودْ
في الركنِ الأعزلِ
معزولٌ لكنْ موجودْ
في الغاياتْ
سوفَ يكونُ مِنَ الآياتْ
فتنادَى صوتٌ قال سَئمنا
حتى يظهرْ...!.
.. ..
الرجلُ الجالسُ في ركنِ المَقهى
أصبحَ كالحِرباء

يتلونُ ألواناً تَمتزِجُ الحاضرَ بالماضي
أصبحَ ذو فَكيينِ طَويلينْ.
تِمساحٌ أو قِرشٌ مَخبولْ
وتُدلى شعرَ اللحية
حتى باتَ يُلامِسُ أقدامَه
كان يُدندِنْ
بكلامٍ لا يَفهمُه حتى الغِلمَانْ
لكنْ..... مَرغوبْ

2011 / 5 / 18

8 - يونُس دخيلِ الرِحلة في بطنِ الحوتْ

في يومِ النّشرِ بلا خِدعَة في البُوقْ
نادى البَواقِ المُتَخفي
هل تنشرُ أسماءَ القَتْلى والجَرحَى،
والمَفقودينَ المَنسيينْ،
وبقايا الأحياءِ المَوهومينْ،
أو أسماءَ المُدنِ المَطحونةِ بالطَّاعونُ؟
رَدتْ أصداءُ الصوتِ على الجُدرانْ
تَبقى بَغدادُ بِلا أبوابْ
لكنْ.. مَختومة باللونِ الأسودْ
كي تَبقى في الأكتافِ علامةْ
يبقى الشطُ المَوروثُ مِنَ الجَنةِ.. لا ماء .. لا أسماك
لا يَسقي شجراً أو زَرعاً أو أجْناسْ
وعلى خُطواتٍ منَّا ثِمة بَحرٍ يَصرِخُ

كثُغاءِ الخِرفانْ..
إنتَهكوا عِرضي الغُرَباء.
يا مُتبضِعُ في الثُلثِ المَنسيّ مِنَ صَحراءٍ مُثقلةٍ بالإثمِ
حيثُ تُباعُ نساءُ الشِدّة
ويُباعُ الأطفالُ على المُدّة
وشُيوخُ القومِ يُساقونَ لحربٍ جِنسية
في الأرضِ المَثكولة
اسمعْ منّي قولَ الحِكمةْ
فحضاراتٌ تبني نَخَاسة
وعلى شكلِ «الرابوتات» المَخْصية
يتذبذبُ جسمٌ مَنقوشٌ في عَظمِ الحُوتْ
يُونُس قدْ جاءَ الأسمُ على جُدرانِ الثيرانِ القُدسيَّة
رسمٌ يتغيرُ في الطقسِ إلى خُلفاءٍ ومُلوكٍ، أُمراءٍ
كالصِبيةْ، رُؤساءٍ بالجُملة
وإلى سفنٍ وقواربِ مِنْ زَيتٍ
وإلى أَحصنةٍ وجِمالٍ وحَميرٍ تعرُجْ

وأُسودٍ ونُمورٍ وفُهودٍ وضِباعٍ وذِئابٍ بَشرية
الرسمُ المَرسومِ على القفصِ الصدريّ
من زيتٍ وعِظامٍ بَشَريةْ
.. ..
قالَ الحوتُ المُتَحينُ في لحظةِ نَشَوى
في بحرِ الظُلماتْ
يُونُس في بَطني ما ماتْ.. ولهُ أحفادُ الأحفادْ
عاشَ الألفَ وعاشَ الآخر، والألفَ المِليون،
كانَ يُنادِمُهمْ في سرِ المُدنِ البَحَرية،
يسألُ عنْ فِقدانِ الآثار
يسألُ عنْ منْ يبدأُ في اللَّحظة
عنْ منْ يَقْرضُ مَنْ!
عنْ منْ يجلسُ مُنتظِراً نَجمة
هبطَ الشاطئُ مَحروساً بالجِنيّاتِ المَصنوعاتِ مِنْ طينٍ أسودْ
يحملُ حَرْباتٍ مَصقولةٍ بالفِضة
تَخْفِت تحتَ الشمسِ ولا تبرُقْ

ودُروعُ قبائلُ مِنْ آثارِ ثَريدِ القَحْطِ
بَرَكتْ مِثلُ بَعيرٍ يبركُ في الرملْ
وأقامَ صلاةَ الإفلاتْ
يُونُس قامَ بحُلم البحرْ،
وغيابِ الأيامْ
وأحسَّ على دَقاتِ السّاعة
وبِسبابتِه خَلطَ البحرَ فقامتْ زَوبعةُ الأصدافْ
إعصارٌ هاجَ وماجْ
هبَّتْ ريحٌ.. بسَمومِ الثالَوثِ على بَغدادْ
والمُدنِ الغَزوة
فأقامَ حِداداً للدفنِ على دُفعاتْ
ولِرَفعِ السباباتِ خُضوعاً
.. ..
قالَ الحوتُ المُتَربِصُ بالبحرِ
يُونُس في بَطنِي ما عاش وما ماتْ
ولهُ أحفادُ الأحفادْ

بلْ قامَ وغنّى
رتّلَ إسمَ الربِ على دُفعاتْ
أحيا، قالوا الأمواتْ
يُونُسُ بَحَّارٌ مِنْ زئبقْ
يفلتُ مِنْ دَحرَجةِ السُفنِ الغَرقَى
ليُقيمَ العَدلَ على ظهرِ الحُوتْ
يبني جناتٍ وقُصوراً لِجواري المُتعة
يُونُسُ شقَّ طريقاً للضفةِ الأُخرى
ورأى في عَينيه نَخيلاً وبِلاداً ما بينَ النّهرينْ
قدْ جفتْ كالربعِ الخالي
حطَّ على بابلِ كالطيرِ الشاردْ
يبحثُ عنْ أيوبْ
نبيُّ الصبرْ
قالَ الحُوتُ «للصبرِ حُدودْ»
يُونُسُ قالَ سأرجعُ للحُوتْ
لنْ اخرجَ حتى أدركَ أنَّ الحُوتَ
كانَ غبياً

وبقَى بغباءٍ ينتظرُ الإفلاتْ
يُعلنُ عنْ إسمي
وكأنَ خُروجي مَوقوتْ.

.. ..

يُونُسْ يتكررُ في بَطنِ الحُوتْ
يَبقَى مَشلولاً
في موجِ البحرِ هَديراً كالكُرسيّ الهَزازْ
يَترنحُ مَنْ يَجلسُ لكنْ يُونُسْ ينتظرُ الإنجازْ
في يومِ النشرِ بلا خُدعةٍ في البوقْ
هل تُنَشَرُ أسماءُ القَتلَى والجَرحَى، والمَفقودينَ المَنْسيينَ
على الدربِ، والسُجناءُ المَوجودينَ على الصُلبانْ،
وبقايا الأحياءِ المَوهومينْ؟
هل تُنشَرُ أسماءُ الجَلادينَ السِّريينَ وليسَ العَلنيينْ؟
كي تخرجَ مِنْ بَطنِ الحُوتِ الأَحشاء
ولْيلغِي يُونُس رِحلَته..

3 / تموز / 2011

9 - سرُ البارِ الليلي المَسحور

صاحبةُ البارِ
تَتمهلُ كالوزةِ البَيتيَة
تَبدو مُتعَبةً مِنْ سهرِ الليلْ
تَرفَلُ في ثوبٍ رُماني شَفافْ
ولها رائحةُ اللوزِ الجَبليّ
تتَنقلُ بينَ الزُوارْ
تَبحثُ في الصُحفِ الصفراء
عنْ وجهٍ أصفر
تَبحثُ في وجهِ الجالسِ قُربَ المَوقِدْ
الوجهُ المُتَخشِنُ مِثلَ قُشورِ الجَوزْ
وحُظوظُ رجالٍ يَغفونَ على النّارِ
وعلى دُخانِ السفرِ الجَوّالْ
في أسفارِ رِجالِ الثَكناتْ

وقتٌ يَمضي
وكؤوسٌ فرحانةٌ مَملوءة
وكؤوسٌ فارغةٌ تَبكي
ورؤوسٌ تتثَاقلُ في خَدرٍ سِري
وأنا الداخلُ في عُنقِ الدَّنِ العِنَبيّ الأَسوَدْ
رِمشُ الدِقةِ والتعبيرِ عَنِ الخَلوة
أترطبُ مأخوذاً باللّذة
يأخُذُني سحرُ الليلِ إلى البارِ المَفتوحْ.

.. ..

السرُ بصاحبةِ البارْ
سرٌ ليلي
تتَجاهلُني عَمْداً، وتُناظِرُني سِراً
بالعينينِ الواسِعتينْ
تفهمُ منّي
إنِّي المَجذوبُ

وأنا الداخِلُ في الأَعيُنِ
رجلٌ شابَ الشَعْرُ وشابْ!
اطلبُ مِنْها أنْ تَحكِي لي
معنى أنْ تصمُتُ عنّي
وأخيراً.. في تِعدادِ المراتِ
تسألُني عنْ غرَقِي في لُجةِ نِسيانِ الزمَنِ المَنسي
تعرفُ إنِّي أُبغِضُ تلكَ الأعوامْ
لكنْ تَبقَى في الإلحاحْ
- لِمَ تَبقَى في الخَدرِ السرِّي؟
أيُّ رُجوعٍ للبارِ
يعني هُروباً منِّي
أيُّ سُلوكٍ نحوَ الماضي
يعني خُلوداً في ضلعِ المرأة؟
فأغُضُ الطَرفِ المُتحرِك لكنْ .. ها أنّي أُبحلِق في غَفْلة
في ضلعِ الرجُلِ الواقِفِ قُربَ البارْ

أتواصلُ في الضَوءِ معَ الضلعِ الأيسرْ
وصبايا يغسلْنَ تِباعاً واجِهةَ المِصباحْ
وبسحرِ الموسيقى الناعسْ
يتراقَصنَ فَراشاتُ خيالِ المُتعةْ
فأعُضُ نواجِذي إجلالاَ
امرأةٌ تبدأُ حرفاً أفضلَ في العقلِ
آلافٌ يتصعلكُ فيهم زمنُ الغَيرَة
رجلٌ يلحسُ إصبَعهُ، لا يتساوَى،
مع امرأةٍ تمنحُ للغُرَبَة دفءَ الوعدِ
.. ..
السرُ بصاحبةِ البارْ
تتنقلُ في أردافِ العِجلِ الحاضرِ للذبحِ
وأنا الشاهدُ في السرِ
أتمتعُ بالكأسِ الراقصِ في هَزّ الصبِ
أتغزلُ فيه

غَزلاً عُذرياً

وأعلنُ جَهراً

كي يَسمعُني العُشاقْ

في البيتِ الشِعرِي

حُبي قِنطارٌ بِلا وزنٍ قَلبي أسفارٌ بِلا سِجنِ

أسكَرُ من عسلِ الرِيقِ ألطـــعُ مِنْه بـِلا وَهَنِ

فتقومُ بِلا عَجْزٍ

صاحبةُ البارْ

فتزورُ مقاعدَ فارِغةً

وببطءٍ تجلسُ قُدامِي

وبِلا صوتٍ

تضحكُ مِنْ قرِّي

فتعودُ لتَسألنِي

– مِنْ أينَ تعلمتَ فُنونَ التقْطيرْ

ورسَمتَ فُنونَ التذكيرْ

وتعلمتَ الغزلَ اللّامَرئي؟

– مِنْ أينَ تعلمتَ فُنونَ القرِ؟

سيدتي يا صاحبةُ البارِ المَركونِ على ضلعِ الذكرَى

الناسُ مَرايا

الناسُ سَراياً

وسَرايا تأتي وتَعودْ

ومَرايا تعكسُ ظِلَ وُجوهٍ

تَخفِي قَلقاً، مَرسوماً بالحُزنْ

وأنا الجالسُ في الموعودْ

السرُ الكامنُ فيكِ

أنتِ السرُ وبقايا السرِ المَكنونْ

لا يخُلدُ فيك

غيرَ ضجيجُ البارْ

والسرُ البالغُ في المُتعة

سرٌ ليلي

سيدتي يا صاحبةُ البارِ المَرهونِ على مَغصِ الصبرْ
سرُكِ سِحرُ الليل، حتى لو أعلنتِ، أن لا سرٌ لديك
فقلبُكِ مُثقلٌ بالوهمْ
مُثقلُ بالسرِ المَخفِي
حتى إنْ كانَ الثوبُ المَلهوفُ الرُماني
يتطايرُ رِيشاً، جرَّاءَ هواءَ المروحةِ السّقفية

20 / تموز / 2011

10 - أنا لا أعرف هادي المهدي

شخصياً..

أنا لا عرفه

وسمعتُ كلاماً عنه

لم اسمعْ إلا النادِر

أنَّ الهادي لم يخضعْ للتَهديدْ

للسُلطة أو خارجِها.

أنا شَخصياً..

أعرفُ عبدَ الجبَّارِ البَصْري

ذو الوجهِ التّبشِيري

كَتَبَ الجُمَلَ المَملوءةِ بالتأييدْ

للفقراء

للعمالْ

للكسبة

للشعبْ

أعرفُ أسماءً أُخرَى
أعرفُها في الفِكرِ
اغْتالوها.. بدمٍ بارِدْ
أعرفُ ذاكَ الكاملِ بن الشائعْ
رجلٌ يحملُ مِيثاقاً تَنويرياً
فَاُغتِيلَ بصمتِ الكاتِمْ
وبِحُجةِ إنقاذِ الدينِ مِنَ التَبذيرْ!
أعرفُ أنَّ القتلَ المُعلَنْ..
بفتاوَى الألوانْ
والقاتِلُ يقرأُ أسماءَ اللهِ الحُسنَى بالمَقلوبْ
مأجورٌ في العقلِ
وبَرمَجةِ العقلِ المُظلِمْ.
شخصياً..
لا أعرفُ كلَ الأسماء
شُهداءَ الكلِمةْ
شُهداءَ الفِكرْ
شُهداءَ المَوقفْ

شُهداءَ الحبْ

.. أعرفُ أنَّ الفِكرَ المُظلِمَ يبحثُ في كلِ مكانْ

عنْ جزّارينْ، لِرؤوسِ الناسْ، عنْ مأجورينْ.

شخصياً..

لا أعرفُ لوركا الأسباني

.. لَكنِي أعشقُ شِعرَه

قَتلوه بِصمتٍ

أصحابُ القُمصانِ السوداء

الفاشيونْ

لوركا الشاعرْ

كمْ شاعرٍ في الدُنيا،

حَمَلوه على الأكتافْ،

ونَزيفُ الكلماتِ الضّوئية

سقطَتْ في حفلاتِ الفاشييْنْ .

شخصياً..

لا أعرفُ هادي المَهدي

.. صارَ شُعوري لَوعةَ لوركا ضائعْ
فبَكيتُ الصّمتَ المَوروثَ مِنَ الخَوفِ
وبَكيتُ الأجسادْ
تتساقطُ في بحرِ رَصاصِ الحِقدْ
وشعرتُ بغَصة في البَلعومْ
أيكونُ صديقاً لا نعرِفُه إلا بالقَتلِ؟
أيكونُ طَريقاً في المعرفة
أشعرُ بالطلقةِ والكاتِمْ
تتَخثرُ في الرُؤيا المَملوءةِ بِالتّلويثْ
أنَّ رصاصَ القُمصانِ السوداء
همْ حرسٌ أسودْ
همْ أورامُ شَباطُ الدامي
همْ أفّاقونْ
حَملوا الفكرَ المأفونْ
همْ مُفردةٌ تَنضَحُ كُرهاً في العالَمْ
تتكلمُ بالصوتِ المُظلِمْ
في أي مِنَ الأوقاتْ.

شخصياً..
أنا أعرِفُ
أنَّ يقيني ثابِتْ
لنْ يَصمُدَ إلا الحزمُ بلونِ النرجِسْ
لنْ يتراجَعَ صوتُ الحقْ
مِنْ إجرامِ الجزَّارينْ
مِنْ عارِ الفاشيينْ
والمُعلَن في كلِ زمانٍ أو كلِ مكانْ
حُبُ الناسِ شِراعٍ في الإبحارْ
شخصياً..
أنا أعرفُ
أنَّ يَقيني ثابِتْ
بالرغمِ مِنَ الأقوالْ
وَتَغَيّرَ في الأشكالْ
في السُلطةِ أو خارجِها
فالقاتلُ في الجَوهرِ مَعروف...
2011 / 9 / 9

11 - إلى نُجومِ العِراقِ في ساحةِ التحريرِ

الموتُ يخافُ الصرخة
لا تتوقَفْ
احسمْ هذا الخَوفِ المُتَرَدِدْ
وتَخلَصْ مِنْ كلِ أساطينَ الوَعظِ
فالوَعظُ المَوهومُ يُؤخَرُ ما في الإنسانِ مِنَ القُدراتِ العَقلية
ويؤَجِلُ ما في التفكيرِ مِنَ المَنطِقِ والحِكمة،
ولْيهرَبْ مِنْ تحديثِ المَوقِفْ
فتَفَرغْ للسيرِ بلا مُهلة
وتَحَفزْ للكرِ إلى قُدامْ
اقرعْ لغةَ الصوتِ
لا تسمحْ للقولِ الخابطْ
«فإذا كانَ كلامُكَ مِنْ فِضةٍ

فسُكوتُكَ مِنْ ذهبٍ غالي»
يَعني اسكتْ عنْ حقِك
وسُكوتُك يَهدمُ بيتَك.

.. ..

لا تأبهْ
صَدرُكَ إذْ مَكْشوفْ
فرصاصٌ يغرِزُ جِلدَ الوَجه
سيكونُ الراياتِ الشعبية
لا تغرقْ
إنْ جَعلوا الرأسَ قواعِدَ للجِلدِ
ورَصاصٌ يزرَعُ في العَتمةِ ضَوءٌ كالشُهبِ الهابِطِ
للأرضْ
وتدربْ
فالدباباتُ على الأبوابْ
في الطُرقاتْ
تحت الشُرفاتْ
عِندَ الأنهارْ

تَحتَ الأشجارْ

في كلِ زَوايا الحاراتْ

تِلكَ قذيفةُ مَدفعٍ رشاشْ

يلهو الأطفالُ بالفارغِ مِنها

والمملوءُ بماءِ النارْ

.. ..

لا تأبهْ..

إنْ طفلَك يصرُخْ

الموتُ يخافُ الصّرخة

لا تفزعْ

الصوتُ قريبْ

وصداهُ يردُ الكمَّاشةْ

لا تتراجعْ

إنَّ القَتَلةْ

فِرسانُ المَقبرَةِ السُفلية

فِرسانُ الحِقدِ مِنَ الأفكارْ

همْ سُرَّاقُ الموقِفْ

هُمُ أُسُ التزويرِ الفاقع
حتى تعتيمِ المِضمَارْ
هم أس المشكلة
ولِهذا إنْ لمْ تتَحركْ
لنْ تخرجَ مِنْ عُنقِ القُمقُمْ
وستَبقَى في نفقٍ مُظلِمْ
وتُصابُ بلَسعاتِ سِياطِ الجَلّادينْ
حتى يَخلعوا جِلدَك عنْ عَظمَكْ
يؤرِقوا.. أحلامَك
يُفزِعوا.. أيامَك
إنْ لَمْ تُخرِجْ أقدامَك مِنْ شَرنَقةِ الهاجِسْ
لنْ تُطلِقَ مَوقِفْ.
أنْ لا تسكُتُ أبداً مِنْ قهرٍ أو تَنْجيمْ
موقِف أنْ تجعلَ مِنْهم أُضحوكَة
لا تتنازَلْ مَهما كانوا جَزَّارينْ،
أو تفقِدْ رؤيتَك الحُرة
الرؤىَ هدفُ التخطِيطْ

الحقُ له مَنْ يطلُبه
أنتَ الحقُ وأنتَ الطالِبْ
اُنظرْ حولَكْ
تجدُ الآلافْ
ومئاتُ الآلافْ
ينتظِرون الموقِفَ في صدقِ الوَثبةْ
فيَهُبوا في أولِ خُطوة تَخْطوها
لا تتخلفْ أو تعجزْ
وشِعارُك للعمالْ
وشِعارُك للفُقراءِ الفلاحينْ
وشِعارُك للمِحتاجينْ
وشِعارُك للشعبِ
لا مسموحُ ضياعُ الوقتِ
فالأحرارُ.. زرعوا في الفكرِ ثقافاتِ المَجموعْ
فحصدَنا وأكلَنا وتعلمَنا
فازرعْ للأجيالْ
هذا التاريخُ الشاهِدُ

هذا الشامِخُ مِنْ رُؤيا عِلميةْ
مَخزونُ تُراثُ الفِكر.
لا تسكُتْ عنْ حقٍ
وَتَذَكَّر ثوَراتكْ
في العشرين
في تموزِ الشمسِ الخالِدِ في وُجدانِ التحريرْ
وَتَذَكْر وثباتَكْ
في كانونْ
في تشرينْ
وَتَذَكَّر انَّك ذُقتَ عَذابَ البَعثيينْ
وشراذِم هَوسٍ في التلفيقْ
وباسم الدينْ
وسَرايا القَتلِ على الألوانْ
وتذَكَّر أنَّك أنتَ الخاسِرْ
إنْ أنتَ بَقيتَ بِلا رؤيا
مَخْدوعاً بالأسماء

2012 / 9 / 14

12 - كُلَّما تشتاقُ ظُنوني

كُلَّما يأتي حبيبي
ناشِراً عَبَقاً مِنَ الزهرِ المُلوَنِ
طالِعاً في رِقةٍ قلبي النّديمِ
سابِحاً في نورِه العُلويّ
أَتَنعمْ بهدوءٍ وسكينةْ
وأرى في رِحلتي
وجْهِه المَرسومِ مِنْ ضَوءِ الشّفَقِ
شعرُه المَجبولِ في ليلِ الخَريفِ
أتوسدُ راحَتِي
وأُغنّي نَشوَتي
واشْتياقاً تَتناغَمْ كلُ أجزائي تِباعاً
ثمَّ أهمِسْ لوعتي
يا حبيبي أنتِ باقي سَلوَتي

في غُربَتي..

.. ..

يا حبيبي

فرحةُ العِشقِ السمائي

ومُروجاً بينَ أنسامِ البَشْرِ

أيُّها الشّهدُ المُرتَبُ بالنّواعِمِ

ناعمُ الطولِ ويَزهَو مثلُ عودِ الخَيزُرانْ

فُلّةُ الروحِ ومُستَرخِي كَزهرِ الأُقحوانْ

تتَموَه عبْرَ روحي بأهازيجٍ نَديمة

تتَبرعمُ في منَامِي وفي الحُلمِ الحنانْ

.. ..

عندَما يأتي حبيبي

راكباً سِرج منَ المُهرِ الخَيَّالِ

أتوارَى راعِفاً

مِنْ عُيونِ الحَسَدِ المَسلولِ

كالسيفِ المُسممِ
أتَخفَّى خلفَ آهاتي
وأُنازِعْ حُرقتِي
ثمَّ أنَّاتي تطولُ
فأخافُ الهَجْر أنْ يَنوِي حبيبي
بعدَ شَوقٍ وحنينْ
وأُزامِلُ فِي حُواراتِي الظُنونْ
وأُراقِبُ جَفنَه المَوشومُ بالسحرِ الهُلامي
كُلَّما يَغفو حبيبي
وعلى صَدرِي يكونْ..

.....

يا حبيبي
حينما تلقَى نِدائي
لا تراني
مثلُ كلِ الناسِ أمشي أتَنفسُ

فأنا سَكرانٌ مِنْ وَجدٍ.
وخَوفاً أتَحرسُ
فغِنائي يتَلظَّى يَتفلسَفُ
ويُعاشِرُ خَلوتي
في غُربَتي
كاشتِياقٍ وظُنونٍ في جُنون

2012 / 7 / 18

13 - بُيوتٌ لَوائحُ الطينِ

حَطتْ طيورُ البَينِ فوقَ سُطوحِنا
صَعَد الغُبارُ إلى الرؤوسِ
بَدأتْ تبُيضُ زواحِفاً
فتَنوَعتْ، مِنَ الهَجينِ
بِيوضِها صارتْ وَبالاً ووَبالاً للأنامِ
وتسَللَّتْ تغشَي بألوانٍ غرِيبةٍ في سُكونٍ
واجتاحتْ الجُدرانَ بالرسمِ العَطّاءِ
فطغَى السوادُ على جَوانبِها
بالرمزِ والآفاتْ والقتلِ الزوآمْ
وتعَسَرتْ سُننُ العُقولِ
ونمَتْ طحالبُ مِنْ سُمومْ
فَضَلاتُها غَطتْ نوافِذَ البيتِ القَديمْ
كلُ البُيوتِ تَناقلتْ هلعَ الخَليقةِ

كلُ البُيوتِ تدورُ في فلكِ العُبورْ
ما مِنْ بُيوتٍ سلَمَتْ مِنْ بَيضِها والفَضَلاتِ
ما مِنْ بُيوتٍ في القريبِ تخَلَصتْ مِنْ وَعظِها
ما مِنْ بُيوتٍ آمنةْ
إلا وصارتْ مَرتَعاً
وكأنَّما الماضي يعودْ
كلُ البُيوتِ تُزامِنُ القلقَ المُريبْ
فتَفَحمَتْ آثارُها
طُرقَ المَسيرِ إلى البُيوتْ
وتَعفنتْ..
لوائحُ الطينِ التي خُطتْ بأرقامِ السنينْ..
ونَمَتْ على شائعةٍ تقولُ ــ لنا الخُلودْ، ولنا الحقيقةُ
والمُثولْ
قصصٌ عن الرحِلاتِ للإنسانِ في
تلكَ الدفاترِ مِنْ قديمِ سِنيننا

وتَخَرمتْ..

مُهجُ الذينَ على الطريقِ

وعُيونُهم ثكلَى بِلا نحِيبِ

الدمعُ صارَ نَشارةً

والقَمعُ صارَ حضارةً

ثُمَّ المراجِعُ في الحِجارةِ

قَصصُ الحُوالاتِ المُمَوهةِ السقِيمةْ

قَصصُ البُكاء

قَصصُ الخَفاء

قَصصُ العُواء

قَصصُ الجَفاء

وبقَتْ بُيوتُ الفقراءِ الرائجينْ

حسكٌ وطينْ

وجعٌ أنينْ

قحطٌ لئيمْ

وتبَرعُمُ الألمُ القديمْ
هَذي الفتاوَى شُبّهتْ
بالمَنجَنيقْ
تقادَمتْ مِنْها طيورُ البَينِ
في كلِ الدُروبْ
هلْ كانَ في العقلِ انتظارْ؟
فتزاحَمتْ أقدامُها
وبدا النهارُ يَضيقُ مِنْ قِيمِ العِبارة
وغُيبتْ قَسْراً مراحِلُ حُلمُنا
أهوَ الذي كانَ انتِظاراً للأُفقْ
مِنْ أينَ أنوارِ التّجلي للتَخلُصَ
منْ جراثيمِ المُكوثْ؟
هيَ لحظةٌ مُثلَى وإنْ قدَمَ الغَمامُ
فالنورِ آتٍ لا مُحالْ
أنْ لا نقولُ بيوتُنا امتلأتْ مِنْ بَيضِها والفَضلاتْ

فالطينُ مرآةٌ لنا والخَازِنينْ

من التُراثِ

عِبارةٌ إثرِ العِبارةِ في القَريبْ

جَللٌ يدوسُ على القلوبِ وينتهِي

وتنجلَي سُبلُ النجاةِ

فهيَ الحياةُ لها مِنَ الرمزِ الوَفاء

وتجَاربٌ فاقَتْ مَخيلةِ الطُغاة

حتى وإنْ كانتْ طُيورُ البَينِ

مِنْ فوقِ السُطوحْ

راحَتُ تبيضُ زواحِفاً

سُودُ الملامِسِ والوُجوه

نيسان 2012

14 - في البيئة شيطانٌ ومَلائكةٌ بأجنحةٍ فضية

تقريباً..
استلقِي في كلِ مساء
فوقَ العُشبِ المُترامِي
تحتَ غُصونِ التوتِ البري
أتفحصُ في الأغصانْ
فأرى ثمرَ التوتِ الأحمرِ
يتساقطُ قسماً منْه
جرَّاء هَفيف الريحِ القادمْ
مِنْ غربِ المنزلْ
أتلذذُ ما فيها منْ طعمِ السُكرْ
واشُمُ عُطورَ البيئةِ مِنْها..
ريحٌ ومساءٌ مبهورْ
يسرِي في روعةِ فنِ التكوينْ
يُبهرُ رُؤيا الإنسانِ بسحْرِ ومجدِ الكَونْ .

أغصانُ التوتِ البرِي
تتغزلُ في الريحْ
وعلى بُعدٍ منْ أمتارٍ عِدة
ساقيةُ الماءِ القادمِ منْ عَينٍ جبَلية
يترقرقُ فيها الماءُ سريعاً في المُنحنياتْ
اسمعُ صوتَ الماءِ الزاحِفْ
كرنينِ الأجراسِ الخافِتة
كأزيزِ الأغصانِ على أنغامِ الحرَكة
يلمعُ نجمٌ قُطبيٌّ في الناحيةِ الأُخرى
يتسلقُ عامودَ الضوءِ على عتبةِ دارِي
حتى يبدو ظلِ التمثالِ النّصفيِّ الأعلى
المُنْحوتِ لامرأةٍ إغريقية
كالخُفاشِ الليلي
ملتصقٌ في البابْ
ترضعُ منْ أثْدَائِهِ
جِنياتٌ خيالٌ يَجري
كاللصِ الهاربِ منْ سِجنٍ مُحكمْ

فيَخيفُ الجيرانَ وأطفالَ الجيرانْ
وضُيوفَ الجيرانِ المَهووسونَ بشربِ الخَمرْ
وفتياتٍ «بالمايوهاتِ» العَصرية
يَرقصنَ على موسيقى «البوب(*)»

.. ..

أتذكرُ عَهدَ اللعبِ
أطفالٌ كُنَّا نتسابقُ حتى أقواسِ الدّفلى
فوقَ الأرصفةِ الإسفَلتية..
وسِياجِ الغابةِ المهجورَة
خطٌ أحمرْ
قالوا عنْ شَيطانٍ يسكنُها
في الليلِ يجوبُ الطُرقاتِ
يأكلُ منْ تينٍ فوقَ السّاقية
يشربُ ماءً بعدَ التينْ
لكنْ في الفجرِ ينامْ..
قالوا..

(1) البوبْ: موسيقَى غربية صاخبة

في الجهةِ اليُمنَى منْ أشجارِ الزَيتونِ الشّامية
نسمعُ موسيقى كالسيمفونياتْ (*)
وملائكةٌ تحضُرُ كلَ مساءٍ
بثيابٍ بيضاء
وبِطاقاتٍ خضراء
تأكلُ توتاً أحمرْ
وتُغني..
عندئذٍ.. يصدَحُ لحنٌ
كنسيمِ بُحيراتِ البجعِ المَذكورْ
في السيمفونياتْ
وتطيرُ ملائكةٌ في أجنحةٍ فِضية
وتفِرُ صباحاً
فالشيطانُ المُتخفي في زيِّ الفلاحِ يُلاحقُها
ويحاولُ أنْ يُمسِكُها
منْ ريش الأجنحةِ البيضاءِ الفِضية.

(1) السيمفونية: موسيقَى كلاسيكية

أبقَى أعيشُ الحُلمَ بأنِّي يوماً ما
وأنا مُستلقي فوقَ العشبِ
أرنو لسماءٍ زرقاء
أتمنَى أنِّي
سوفَ أراها ويراها أطفالُ الجيرانْ
وضُيوفُ الجيرانْ
وفتياتٌ يكشفنَ صُدوراً كالتينِ البري
تهبِطُ خلفَ سِياجِ الدارْ
بثيابٍ بيضاء
وبأجنحةٍ بيضاء فِضية
وأكاليلُ الأغصانِ الخضراء
تجلسُ جَذلانة
تأكلُ منْ توتِ حَديقتِنا
عندئذٍ.. يهربُ شيطانُ الشُؤمِ المشؤومْ
ولِهذا لا خوفَ يُهددُنا
حتى نبقَى فرِحينَ ونضْحكَ كلَ مساء

2013 / 10 / 5

15 - صدَى يُضيءُ دمَ العِراقْ

صوتُ الأفاعي وهيَ تزحفُ للجداولِ والعُيونْ
وعلى جوانبها جَنادبٌ بها عثُ التحولِ والمُثولْ
تتبعُ القفزَ تُنادِي الماءَ في الجَفافْ
والماءُ أصبحَ في ضياعْ
أواهُ دِجلةُ أنْ تكونَ بلا مياه
وأنْ تكونَ بلا عَفافْ
وأنْ تكونَ غابةً
تُحولُ الأزهارَ للفجيعةِ والعويلْ
وأنْ تكونَ المَقبرةْ
لقامةٍ منْ الشجرْ
وعلى الدوابِ نقمةُ الشرَرْ
أواه أنتَ يا فُراتْ
يا منْ رأيتَ «الداخِل الرحمَن(*)» باكيٍ في الضِفافْ

(1) عبدُ الرحمنِ الداخِل عندما قطَع الفُرات هاربًا منْ بني العبّاس مع أخيهِ الصَغيرِ ذو الثلاثِ عشْرةَ سنة الذي لم يستطعْ العبورِ فصاحوا عليه " لكَ

يضيفُكَ الهمُ الرُعافْ..

وباكياً أخاهُ جُثةَ العُبورْ

في عُريِها عندَ الجِوارْ

تُذبَحُ من نحيبِها الحزينْ

ومنَ الوريدِ للوريدْ..

كيفَ السبيلُ إليكَ يا وَطني المُباحْ

وإذا الدمْ القانِي سيصعَدُ للرِكابْ

زحْفُ الأفاعِي كالصّدَى

وفي الضبابْ

للحجرِ الصوانْ

فلم تكنْ.. إلا سكاكينَ الجريمةِ في الرِقابْ

ولم تكنْ.. إلا الإغاثةَ في القِفارْ

الأمانُ فصدقَهم " فرجعَ حيثُ قُطِعَ رأسُه وأخذوه معهم وعبدُ الرحمنِ الداخِل يتطلعُ نحوه .

- ذبحَ البشَر وقطعَ الرؤوسَ أو قتلَهم لإختلافِ الرأي تاريخٌ منْ وَحشيةٍ يبدو انَّه قدْ جُدِّدَ تحتَ طائلة الأسلافِ والأصولِ وأصبحَ سِمة للجَريمةِ والتطرُفِ بحُجةِ الإسلامِ وهو بريءٌ منْهم ، الإنسانُ هوَ الأعلَى في إنسانيتِه..

وعقربٌ سوداءُ في المَهدِ تُضيءْ
عقاربٌ تُضيءُ تلدغُ كالجَهادْ
تطفَحُ في سَودِ المرَايا والحَداثة
تَمحِي جُذورَ الحِكمةِ الأُولىَ طَريقاً للوصولْ
تُضيءُ في شجنِ القبورْ
زحْفُ الليالي للعُبورْ..
- لو أنَّني كمَا السَحابْ
سحابُنا الوافِرُ في السماء
لزفَرتُ عاماً أو يَزيدْ
ومَطرتُ في كلِ السُهولْ
وبعثتُ ثلجاً في الجبالْ
وملأتُ دِجلةَ والفُراتْ.
لو أنَّني طيرٌ أطيرْ
لرأيتُ في وطنِي الكلامَ إلى الصباحْ
وإلى المساءِ بِلا حِجابْ
لو أنَّني كالبرجِ عالياً
لَوَشمتَ ارضَ الرافِدينِ حمامةً

وغسلتُ قاماتٍ لأطفالِ البلادْ
وبصقتُ في الحربِ البَغيضة
ومنحتُ منْ قَلبي سلاماً للجميع
وصرخت في الأجواءِ أواهُ العِراقْ
يا أيُّها القلبُ العَفيفْ
ويا دَماً تَغرفُه كلُ المناهِلِ والحُقولْ
بِحُجةِ الراياتْ
بِحُجةِ الرؤيا بحيراتِ الخِداعْ
بحجة التحريم والنِّكاحْ
لو أنَّني لم افترقْ
وبقيتُ قُربَ مظلتِك الرَخيمة
ونقلتُ ماءً منْ فُراتٍ للعيونْ
«ودِجلةُ الخَيرِ» الحَبيبْ
لكشفتُ لِعبتَهم
لأنَّ منبعهمْ عقارِبُ منْ سَديمْ
عقاربٌ سوداءُ في سُرادِقِ البُكاء

15 /9 /2014

16 - مُدنٌ ترحلُ في العُزلة

في باديةِ المدنِ البدَوية
ترهِبُني العُزلةْ
ترهِبُني فِكرةُ أنْ أبنِي بيتاً
أو غُرفة خَوفاً منْ صاعِقْ .
توجِعَني أحلامُ اليقَظة
أتقلبُ طولَ الليلْ
وأعُدُ النَجمَ المُترامِي فوقَ رؤوسِ البَدوِ الرُّحلْ
فيُغنِي الرجلُ الحالِمِ تحتَ مِياه البَحرِ الأبيضْ
ويُنادِي البَحرُ الأحمرْ
«البحرُ بيضحكْ مَهموماً
والبحرُ الغدَّارُ الراجِلُ لا يَرحمْ(*)»
أعَجيبٌ أمرُ القلبْ؟

(*) للشاعر المصري احمد فؤاد نجم بتصرف

ليسَ عَجيباً،
أنْ يشغَلْ وُجداني، الصوتُ القابِعُ في صَدرِي المَنْفى
يَعذرُني منْ يسمعُ صَوتِي
فيُبشرُ بالقادِمِ منَ عُمقِ شُجوني
صوتُ الرِيمِ الهارِبِ سِراً
قُربَ الخيماتِ الجنِّيات
لا صوتاً أسمعُ في المَنْفَى
إلا صوتَ أنينِ الريمِ المَرسومِ على الوَجهِ المَختومْ
الصرْخةُ ليسَ لها مَعنَى
إنْ كانتْ خافِتةً
أو كانتْ مَسموعةْ
لكنَّ الأمرَ المُعتادْ
في ظلِ القَطرانِ المَغلي
القطرانُ المُتربِعُ فوقَ الهاماتْ
أغريبٌ لا مَعنَى قَرارْ؟

ليسَ غريباً أنْ تنزِفُ حتى العَظمِ بيادقَ كانتْ
تتقاذَفُ فنَ اللغَط المَسمومْ
فتغوصُ الأرجلُ.. جرداءً كلونِ الأرضِ العَطشَى
في مِنقارِ فتاوَى مَشغوفةِ باللّونِ، وبأقفاصِ القَطرانْ
أنْ تنظرَ في الأفقِ
وتُتابِعُ ذاكَ الصَوتِ المَخزونْ
صوتٌ يتدرجُ في ماخورِ الحِرفةِ
إلا لوْ كانتْ امرأةً..
امرأةٌ منْ أصدافِ البحرِ
امرأةٌ حُبلَى بالألياف البَشَرية
تنقلُ صوتَ البحرِ وأصواتَ الجِنياتْ
في الخَيمةِ المَعزولَة.
امرأةٌ كانتْ تَبكِي جَسَداً خاوِي
منْ أملٍ في نفخةِ رِيحْ
أبوابُ الخَيمةِ في الرُبعِ الخالي

بواباتِ جحيمٍ مكتُومَة
بدماءٍ كالشمعِ الأحمرْ
لا يدخلُها إلا الباكِي
والمُتحسِرْ
والشاكِي
المُتَعفِرْ
والراكضُ خَلفَ الأشجارْ
بترابِ المُدنِ العَزْباء..
مُدنٌ تسكَرُ منْ قَحطٍ، قُربَ المقبرةِ الباكِرْ
قُربَ الفُسحةِ منْ رَملٍ مُتخَثِرْ
أدِماءٌ تلكَ دِماءُ نساءٍ مَختوماتْ ؟
أدِماءُ المَرقوماتِ بلونٍ أسوَدْ؟
أدِماءُ المُختاراتِ بِحُكمِ الفُسحَةْ؟
أدِماءُ البَيضِ المَفقوسِ بِوطءِ الأقدامْ؟
تتوطدُ في أعراسِ دماءِ الخَيمة

وِجهاتٌ في التَقسِيمِ الجُغرافي
تتَقاسمْ كلَ جِهاتِ الباديةِ..
مُدنٌ تتَقلبُ بالمقبولاتْ
حيثُ شَرارِ التَفجِيراتْ
يتقافزُ عندَ المُنحدراتْ
مُدنٌ تَرخَي، تتَوخَى الخَدرَ المُستَعجِلْ .

.. ..

أتدَثرُ في باديةِ المُدنِ المَسحورةِ بالمَدعواتْ
أسمعُ أصواتَ بُكاءٍ مَجروحْ
أسنينَ العَتْمةِ لاَ تُنهِي
جزَعِي المَكبوتْ؟
هذا الدمعُ المَسفوحْ!.
مُدنٌ تسقطُ في التّبشيرْ
مُدنٌ تستيقظُ في التّفجيرْ
مُدنٌ تقفزُ فوقَ الذاكِرة

مُدنٌ كالمومياءِ تُحاكِي المَنْصوصْ
تجلسُ فوقَ رمادِ الوقتِ المَشْبوه
تركعُ في سابقةِ الرّكضِ بِلا أهدافْ..
أمَوتٌ يَمشي في الطُرقاتْ؟
هذا المَخزونُ بِلا مِيلادْ
أمَوتٌ في الطرقات؟
منْ يقبلُ بالقتْلِ ؟
سننٌ تقبلُ بالقتْلِ الميراثْ
وتقولُ الدُنيا خَيرْ
والمُدنُ الباديةُ راحتِ تتَنابذُ بالألقابْ
ونساءٌ في سوقِ نَخَاسةٍ عَصْريَّة
كدليلٍ للرَجعَةْ
وشِعاراتُ التضليلِ المَسبوقةِ بالوَعدِ القادِمْ
الوَعدُ دُخولُ الفِردَوسِ دُونَ حِسابْ
وشِعاراتٌ تُغْلِقُ نورَ العقلْ

كدليلٍ للتزييفْ
كي تُغلقَ بواباتِ المُدنِ المَعطوبَةِ أصلاً بالعِصّاباتْ..
فتُراودُني الفِكْرةْ
أنْ لا ابنِي بَيتاً
أو أسكُنُ غُرفةْ
في مدنٍ يَملأها الخوفُ منَ الماضي
وتخافُ المُستقبَلْ!

2015 / 6 / 1

17 - لا تُسر المُفاجآتَ المُفاجأة

أَتَفاجأ يا صَغيري
ظافِري وجهِ النّدية
عِندما أصبرُ على البَلوَى وأفرحْ
فأدارِي الجُرحَ بالذِكرَى
وأرَى عِندِي ضُلوعاً في التّخَفِي
تتهاوَى في التّمنِي..
أنا لا أُخفِي حَنينِي
فأنا في العيدِ أبكِي
وأُقلِلُ منْ سُرورِي
ثُمَّ أضحكْ
ثُمَّ أضحكْ
مِنْ عَذابي
وأُجامِلُ في جُروحِي

أتغابَى في نُواحِي
وأنا خَلفَ ظُنوني
لمْ أكُنْ يوماً بِوَجدِي
أتَغاضَى عنْ هُمومِي
وبِما أنِّي فَقيرٌ في النِفاقِ
وبِما أنِّي خَبيرٌ في التّخَفِي
عنْ عُيونٍ ذاتَ مَعنَى
أتَلظَى في نزوحي
أتعاتبْ في سُكوتي
أتَعاقَبْ لِاشْتياقِي
يا صَغيرِي..
ظَافِري المُهرِ الغَريبْ
أتَوسلُ في التّلاقِي
وأُنادِمُ في اختِيارِي
أتَحرَقُ منْ بُعادِي

أَترقَبُ في سُهادِي
أَتَفاجأُ منْ سُرورِي
ثُمَّ أصرُخْ ثُمَّ أبكِي ثُمَّ أحزَنُ منْ جُنوني
يا صَغيري يا نَديمِي في اللّيالي
أَتعَبتَنِي بالفراقِ القَهرِ عنِّي في غِيابي
كنتَ تَحنو في ابتِهالي
تتَسابقُ في الغَوالي
ثُمَّ تَطفُو منْ عُيوني
كيفَ لمْ يَفقَه دَليلي
عنْ حِكايا وَرَقيةْ؟
قَصتْ الأيامُ فيها
خاطِري في أَسْبَقيَّة
وتَحايلْ في زمانٍ أغبرٍ فيه البَلايا
عَبْرَ تِرحالِ الفَديَّة
فإذا جُنّتْ ليالي

صارت الأحلامُ أوهَاماً غَبيّةْ
ثُمَّ عَقلِي ظلَّ يَشقَى
فِي مَراجيحِي
بآمالٍ عَصيّةْ
كيفَ يا أنتَ صَغيرِي
ظافِرِي المُهرِ المُغربْ
تظفَرُ عليَّ
تَسابَقْ فِي عُيوني
ثُمَّ ترحَلْ بفَديّةْ
فانا لا أُخفي حَنينِي
مُنذُ صَبرِي
مُنذُ أنْ قُلتَ وَداعاً
فِي زمانٍ كانَ حَيّةْ
فِي زمانٍ صارَ بلوَى وحَكَايا دَمَويةٌ
حيثُ صارَ الأجرَبُ الجَربَوعُ سُلطاناً عَجيباً

وضَفادِعُ تقرأُ الحاضِرَ كالماضِي
تُزمِرْ في مَزامِيرِ الضَّحيّة
وشوارعُ ينتَهِي فيها التأمُّلُ بالخُضوعِ
ومآقي كالفَواجِ
تتَوالَى ثُمَّ تَغدُرْ
وأنا سَوحُ الضحيَّةْ
يا زَماني
كيفَ أنساهُ
كُلَّما أغمُضْ جُفوني
وأنا سَوحُ التّمنِي
تتعافَى زهرةُ الدمعاتِ فيَّ

2015 / 9 / 25

18 - مُناجاةٌ للعُسر

سَليلُ الظلِ لا أُخفِي التِياعِي
نَديمِي في الهَوى سِرُ انصِياعِي
أُناجِي طَيفَها حُباً ووَجْداً
وأروِي في الجَوَى عُسرَ اعْتِناقِي
ففي قُبُلاتِنا ماضٍ نَديمٌ
وفي سَهرَاتِنا حُلوُ اشْتياقِي
وفي أعْماقِنا حُلوُ الوِفاقِ
خَفيفُ الظِّلِ دعوَى للتَلاقِي
وأرنَو للشِفاهِ بِلا شُجونٍ
وأطيَبُ ما حوَى حُلوُ المَذاقِ

2016 / 1 / 20

19 - أحجيةُ المسالِكِ العابِرة(*)

دخَلتُ عالَمَ الغَرابَةْ
وصِرتُ في الغابَة
مُنجِماً..
أصبحتُ في الصحراءِ والسهولْ
مُستفسراً..
وقارئُ الفِنجانْ
وكُنتُ في الجبالِ
لولَباً..
مُمتطياً مِنَصةَ الخَطَابةْ
عَجّلتُ في الإيابِ والذِّهابْ
فتَشتُ في مَجاهلِ العَمامَةِ
مُستشرِفاً، أُصولَها المَدفونَةْ

(*) أحجية: (لغُز: كلِمة مُغلقة يتحاجَى به الناس.. الأُحجَيَة هي **مسألة** بتَعقِيد مُعيّن تتَبعُ سِلسِلة **حِساباتٍ منطِقية** للتوَصُل للإجابة عليها)

رَكّبتُ في قطارِها المَلامَة
لَعلَّني أفِيقْ،
منْ غُربتِي
منْ وَعظِها الغَمامَةْ
وأستَعيدُ حِيرةَ الطريقْ.
كانتْ فُصولُ الناسِ في الخَرابَة
تبحثُ عنْ ملاجِئ
الأطفالُ
تدُسُ أنْفَها
في سِمة القَرابَة
فقلتُ أنَّني وَحيدْ
أبحثُ في نوازِعِ الرَّتابَة..
.....
الشيخُ جاءَ بالنّعامَة
وقالَ أنَّنا جِياعْ
نَأكلُ في الصّحابَة
نخافُ رأسَها المَدفونْ في الرِمالْ
وعجزها المرفوع بالنيابةْ.

سافَرتُ في معَالِمِ النّدوبْ
ما كانَ فِينا مُرشِدُ السلامَةْ
بلْ كانَ مِثلَ الواعِظِ الهَزازْ
يهُزُ في الصباحْ،
وفي المساءِ يرقُصُ الإيقاعْ
ودعوةٌ تقولْ..
المؤمنُ الرشيدُ في السحابَة
موهوبٌ في قراءةِ النّشيدْ
موهوبٌ في التغييبْ
موهوبٌ في التغريدْ
موهوبٌ في القَصيدْ
موهوبٌ في التكْبيرْ
موهوبٌ في التكْفيرِ اسمُ الله في الوَجاهةْ
موهوبٌ بالوَعيدْ
موهوبٌ في التدريبْ
في لَعنةِ العَبيدْ..

فقلتُ في نَشيجْ
مُوزِعاً، ما بينَ فنِّ الكذَبِ والدُعابَة
– وهلْ يقولُ اللهُ؟
ويختفِي في اسمهِ الحَكيمْ
يطِنُ كالذُبابَة..
فتَشتُ في التَرتيلْ!
منْ كَثرةِ التّسجيلِ والعَتابَة.
جاهدتُ حتى أنَّني رأيتْ
مَقبرَةً للرِجسِ في غَمامَةَ
.. ..
الشيخُ جاءَ بالحَصيرَةْ
وقالَ أنَّنا سنفقِدُ البَصيرَة
ونتبَعْ من هوَسِنا الإمامَة
فها هوَ الطّريقْ
ذو مسلَكَينِ
مسَالِكِ العَلامَة
وفيها رِفعةُ الرؤوسْ

ومسلَكُ الخُضوعِ والنّدامَة
خاضعةُ النُفوسِ
للحاكمِ الواعظِ في حُسامِه.
.. ..
أخضَعتُ نَفْسي في الإجابَة
وقلتُ لا معنَى.. ولا لنَا، في صِفةِ المُثولْ
بلْ عِندَهمْ في حُجةِ القِيامَة
أحجيَةٌ تُعدّد النّيابةَ
وتَبتَغِي مِثالَهم نَدامَة..
قررت أن أكون كالحمامة
في عالم الغرابة
وأتسِعُ في رُؤيتِي
كي أصطَفِي،
منَصةِ الخَطَابة
اللّعنُ فيها موسِمُ النَّدابَة

16/ آذار/ 2016

20 - حبُ زمنِ التداولِ والتحول

- 1 -

لي حبيبٌ غابَ عنِّي خُطوةً أو خُطوتينِ،
وتأرجحْ ماضياً
لحظةً أو لحظتينْ
سنَةٌ أو سنتينْ،
هكذا الدُنيا كحُلمٍ مَسرَحي
تختفِي الأضواءُ في صمتٍ وفي هَرجٍ تُضيْ.
كانتْ الذِكرَى عَبيراً
وسَنا بينَ ذراعِي
أتخَطَى سنّةً كلَ المرافئ
بوَقودِ النظرَتينْ
وحُدودِ اللوحَتينْ

وعُطورِ القُبلَتينْ

وعباراتٌ تُغنِي حَولنا..

يا حبيبي أيُّها السَائلُ عنِّي..

كيفَ تحسَبْ وقتَنا المَمشوقِ منْ سَيفِ الأغاني

أنَّ صَوتاً منْ ثَنايا العِشقِ خُدعَةْ

«يا حبيباً زُرتَه يوماً بَهياً» فتَشظّى قطعَتينْ (*)

أتظنُ البُعدَ قاسي،

أتظنُ الحُبَ عُنوانَ التّلاقِي والحُضورْ!

كيفَ أنسَى عِطرَكَ القائمَ في ريشِ الوَسائدْ

أنتَ صادِقْ يا حبيبي؟!.....

أنْ تقولَ الكلِمَتينْ

بوداعِ الشَفَتينْ..

يا وَداعاً كالشراعْ

(*) البيتين غَير مُتسلسِلين غِناء أمُ كُلثوم .... للشاعر الطبيب (إبراهيم ناجي)

يَـا حَبِيبًا زُرْتُ يَـوْمًـا أَيْـكَـهُ طَـائِـرَ الـشَّـوْقِ أُغَـنِّـي أَلَـمِـي

كَيْفَ ذَاكَ الْحُبُّ أَمْسَى خَبَرًا وَحَدِيثًا مِـنْ أَحَـادِيـثِ الْجَوَى

أنتَ تمضي مثلُ نِسمةْ في الحُقولْ
رَغمَ أنَّي أختنِقْ زَجراً ومنْ مُرّ الذُبولْ
إنْ تقولُ القولَ هذا دونَ أنْ يرمِش جَفنْ
ثُمَّ لا تدمعُ عينْ!..
كيفَ تَنسَى في الليالي الزَفرَتينْ؟
كيفَ تنْسَى المِرفَقينْ؟!....

– 2 –

لي حبيبٌ ساطعُ مثلُ الشُموسْ
في حَواسي
ويُجافي الصبرَ بالصبرِ اقتِباساً لا خُضوعْ
عِندَما غابَ التواصُلْ
صارَ فجرِي مثلُ ليلي
صِرتُ كالغائبِ منْ حُزني
صِرتُ مَذراةَ الخرابْ
فأنتشِي منْ عذابِي في العذابْ

– 3 –

غَجَريٌ.. يا حبيبي

أيُها الساكِنُ عِندِي،

في الأماسِي،

والصباحات المُنيرَةْ

ثُمَّ في طَرفَةِ عَينْ

غبتَ سِراً،

مثلُ أشجارِ التحولِ في الشتاء

تسقطُ الأوراقُ كي تنمو جَديداً في الربيعْ..

يا حبيباً يقتربْ

قابَ قَوسينْ

يا حبيباً يبتعدْ..

فرسَخاً أو فرسَخينْ،

يرتجِلْ فوقَ التماسِي بالبَقاء

يتلونُ مثلُ حِرباءِ البرارِي والحُقولْ..

لي حبيبٌ قامَ قُدامِي وغَابْ
وارتحلْ في العينِ منّي لا رُجوعْ
أو عِتابْ
وابتعَدْ نحوَ التفرُدْ
وتناسَى إسمَنا زوراً وبُهتاناً عَجيبْ..
يا حبيبي، أيُّها الحامِلُ مشروعَ الظُنونْ
كيفَ تقبلْ كلمةً صارتْ دخيلاً للفِراقْ
وتشَظتْ في الظُنونْ
كلُ أحلامِ التمنِي في غِيابْ
ثُمَّ صارتْ بينَنا سُوراً وسَداً للتقاطُعْ
ومسَاميراً تُقرحْ مُقلتينْ
كيفَ إنّا نفترقْ يا صاحبِي
مثلُ جُرحٍ في الضبابْ
ثُمَّ نأتِي للتّلاقِي كالصِحابْ

2016 / 5 / 16

21 ــ سُنَنٌ تحتاجُ إلى تدويل في "ساربسبورك"

هلْ نبدأ بالسرِ فنُعْلنهُ
كي نفهمَ ما في الجوهرِ منْ سُننٍ في التأويلْ
ونرى كيفَ ستجرِي وجرتْ تلكَ الأيامْ
سننٌ تحتاجُ إلى تحليلْ..
هلْ نستوعِبُ ما في سُننِ الهجرَة؟
أم نُخفِي ذاكَ الجَلَلُ القادِمِ في التدوينْ؟
جَلَلٌ فاقَ على جللِ المَوروثْ
جللٌ منْ خُطوبٍ زاحِفةْ(*)
هلْ نُدركُ بالفِطرةْ، أنَّ عِراقاً مثلُ النَجمة!
أصبحَ كالبُركانِ الخامِدِ أبَدياً
أصبحَ كالسجنِ المَلغومْ
نَحنُ شَتاتُ القومِ بِلا رَحمَةْ..

(*) جللٌ أصابَك والخُطوبِ جِسام فالقلبُ دامَ والدموعُ سِجامْ.. لأبو اليمن

أفّاقونْ، جوّالونْ، مَهموسونْ، مهووسونْ،،
منْحوتونْ، مغْموسونْ
مهْروشونْ، مطْحونونَ و بالعسرِ المَعسولْ
نَحضرُ ونَغيبُ كما تلكَ الأنْواءِ الجويّةْ
جِئنا.. مَهمومينَ منَ التنْجيمْ
جِئنا.. بعدَ سِنينٍ منْ جَورِ الأنْفُسِ والقتْلِ المَدفونْ
وتكَتمْنا، عنْ ما فينا منْ أحلامْ
جِئنا، بعدَ سِنين الأملِ الباقِي
لمدينةِ «ساربسبورك» (*)
كانَ المأوَى بيتاً عالي
كسفينةٍ فوقَ الوطنِ الأطلالْ
عُشرونَ وأربعْ، منْ سنَواتِ التيهْ..
وثمَانونَ ثمانِ الأيامْ
كمْ ساعاتٍ، ودقائقِ حتى اللحظاتْ ؟
كمْ هاجَرنا وترَكنا بَلداً عِشنا نرضعُ منْ ثَديَيهِ

(*) مدينة ساربسبورك (Sarpsborg)ومدينة يوفييك Gjøvik في النرويج

نغسِلُ أعينُنا بالإعشابِ البريّةْ
ونشُمُّ تُرابَ القِممِ الجَبليّة..
أقدَمنا مَقهورينْ
أصبَحنا في الثلجِ المَغزولْ
في حُججِ التهويلْ
نحنُ المَرهونونْ
لبردِ العُزلةِ والعُسرِ القائمْ
والطاحونةِ السوداء..

.. ..

في «ساربسبورك» أخذنا بيتاً فوقَ الربوة
وَمَثَلْنا فوقَ المسرحِ أفراحاً «دونكيشوتيه»(*)
ووحيدينِ كمَا كُنَّا،
أصبحنا مَعزولينْ، في هرجٍ مَخبولْ
نحلُمُ بالجَمْعةِ في الزحمَة
وحِزامٌ للظهرِ التعبانْ

(*) رواية للأديب الأسباني ميغيل دي ثيربانتس سابيدرا

عُدنا كالسابِقْ
وأخَذنا بَيتاً في" ساربسبورك"
يطِلُ على حقلٍ اخضر
وعلى الأمفي الشامِخِ في الساحَة
أمفي رأسُ المالِ الغُول[1]"4"
والشارعُ محمومٌ بالأضواء
وقطاراتُ البلدانِ تمرُ سرِيعاً
كظلالِ الأنوارِ على الأعصابْ.

.. ..

ها أنَّي أجلسُ قُربَ النّافِذة
كسابقِ عَهدِي..
إلا أنَّ الفرقُ كبيرْ
الأُولى قُدامُ مدارِس في" يوفيك"
وبجُدرانٍ حمراء
ونوافذُ قابعةٌ في الظُلمة..

(1) أمفي (AMFI) مركز تجاري وتسويق كبير

في بَيتِي الثاني
المركونُ على تلةْ
وبِشُرفةٍ منْ خشبِ الشَوحْ
أتطلعُ عَبْرَ النافِذة
في الحقلِ المُترامِي الأطرافْ
الحقلُ الأخضرْ
وأراقبُ سيرَ السياراتْ
وقطاراتُ البلدانِ الأُخرَى
أنظُرُ في الأُفقِ المَفتوحْ
بِشروقِ الشمسِ وغُروبٍ في عُمقِ الرُوحْ
فأرَى أشباحاً تتقافَزُ عِندَ حُدودِ الشارِعْ
وأُراهِنُ أنْ تأتِي سيارةُ شُرطة
أسمعُ صَفاراتِ الإنذارْ
وأُشاهِدُ سياراتِ الإسعافِ كمَا البَرقِ الهادرْ
لكنِّي، أخسرُ مَراتْ.. اربحُ مراتْ.

تترددُ أصواتٌ منْ شجنٍ مدفونْ

عَبْرَ أثيرِ الغُربَة

لا حُزنُ يُضاهِيها..

لا ألمٌ يجرحُ فينا مثلُ العُزْلةْ

لا أملٌ والحالُ على المِنوالْ

في الوطنِ المَشرومْ

والحرسِ القادمِ ذو شِقينْ

حرسٌ قومي.. جيشٌ شعبي..

ثُمَّ الحَرسُ الأسودُ، ومُيليشياتٌ تعبثُ بالوردِ

وبالأشجارِ الخضراء..

وترَى الإنسانَ عديدَ الأُوجه،

وجهٌ أبيضْ، وجهٌ بُني، وجهٌ أسودْ، وجهٌ لا رونقَ فيهِ

فالوطنُ العائدُ منْ جُرحٍ مَخزونْ

صارَ إلى عثٍ مَركونْ..

.. ..

يا وطني المُبعَدُ في أقصَى فِكرٍ مَعزولْ
ليموتَ الناسُ منَ الطاعونِ المَلعونْ
يا وطني كُنا نحلُمُ بالعَودَة
إلا أنَّ الحُلمُ سيَبقَى الحُلُم المَرهونْ
ليسَ له وزنٌ أو لونْ
يا وطنَ التاريخِ وقائمةِ الأسماء
جئنا نَنْشدُ فيكَ الاسمَ
كي لا يُصبحُ أوروك باسمٍ آخرْ
كي تبقَى أورُ وبابِلُ والقلعةُ في اربيل،
وكما في عمقِ التاريخْ
عُمقاً للمُستقبلْ
جِئنا مَهمومينَ كما كُنَّا
جِئنا نسكنُ «ساربسبورك»
بوجومِ الخُدعةْ

2016 / 6 / 18

22 - العَبرات

ألـــــــومُ نـــفـــسي كُـــلـــما
صـــوتٌ مـــنَ المـــاضي عَـــدَى
وأفـــيـــقُ مـــنْ رؤيـــا بها
حُلـــــمٌ وإنْ مِـنْـه رَدَى
وأقـــــولُ وَجـــــداً هـائـماً
هـــذا الـــنّـــوَى وإنْ بَـــدا
هَـــجـــراً وهُـــجـــرانـــاً
كـــأنَّـــه صـــوتُ الـصـدَى
أصْـــحـــو عـــلى خـلَـجـاتِـه
ونـــديـــمُ أفـراحـــــي سُـــدَى
كـــأنَّـــه الحُـــــزنُ سرَى
وأنَّـــــه سَـــيـــفُ الـــعِـــدا
وأنَّـــــه الـــنـــاهِـــي نهَـــى
فِي حَـــضرةِ الـــرُؤيـــا حَـــدا

أذوبُ في بسَماتِهم
أغدو سَراباً في المدَى
ما كنتُ يوماً نادِماً
فيهِ الشمائلِ مسجِدا
أذوبُ منْ شَوقِي لهُم
وأحِنُ منْ شفقِ الهُدَى
فحبَسْتُ عنِّي ودُهمْ
وأخافُ هجْراً باعِدا(*)
أكادُ منْ عِشقِي بِهِمْ
كماَ المسيحُ مُعمَدا
وأصيرُ شَرِعاً في الصلاةْ
ويكونُ بالحسنِ اقتدَى
أصبو إلى همساتِهم
كالسيفِ منْ غَمدٍ عَدا

(*)

يا رّب أنتَ حَبست الحُسن في قمرٍ حُلوُ الشمائلِ لا يرثَي لِمنْ عِشقِه
أكادُ أدعو عليه حينَ يهجرُني لكنْ لفرطِ غرامِي تمنعُ الشفقَة

- محمد علي بن محمد علان الملقب بابن علان 1588 - 1647 م

ألـــــومُ حـــــالِي في الهـــوَى
كـــصـــوتِ بُـــلـــبُـــلٍ شَـــدا
وأخـــافُ بَـوحـاً في الـعَـلَـنْ
وأُطـــالـــبُ الـقـلـبَ الهُـــدَى
أكـــــادُ أنـــســـاهُـــم فَـــدَى
وأعـــــوذُ مـــنْ هَـجـرِي غَـدا
وأخـــافُ بَـوحـاً في الـرِهـانِ
وأُطـــالِـــبُ الـقـلـبَ الهُـــدَى
وتـــعـــودُ رجـــاتُ الـظَـمَـى
كـــأنَّ صَـمـتِـي قـــدْ دَوَى
وتـــلـــوحُ مـــنْ أقـــوالِهِـــم
فـيـهِـمْ رجـــاءْ فـيـهـمْ فِـدَى

2016 / 1 / 30

23 - تناسُلُ النجومُ

تختفِي نُجمةٌ في أتونِ الملاحِمِ والصاعِقاتْ
ثم أُخرى تُضيءُ الطريقْ
وجهُ هذا الفَضاءُ الرحيبْ
فتُديرُ السِتارَ الغَريبْ
في حَماسْ
لتُضيءَ العُقولَ وتَزيحْ..
كلُ هذا الظلامْ
نَجمةٌ أُخرَى ترتدِي حُلةً منْ شُروقٍ بهيجْ
كي نرَى زهرةً في الصقيعْ
مثلُ شمِ النَسيمْ
فنُحِسُ الأمانْ

.. ..

شمعةٌ تحترقْ
ثُمَّ أُخرى تقومْ
منْ بقايا الرَمادْ
تنتَهي سَعتراً أخضرَ
فتُضيءُ الدَربْ
تمشِي البِقاعُ لِعُيونِ الرِجالْ
النساء
ولأطفالِنا يحلمونْ.
والقوافلُ تهدِي الربيعَ سُلَّماً
وإلى الشمسِ تبغِي الصُعودْ
كيفَ تبقَى الشُموعْ!
تزدهرْ
تُبْهرُ الناظرينْ
كيفَ ترقَى النجومُ تسدُ الفراغْ
فِي غِناءِ الفصولْ

رغمَ ليلِ الرُعودْ

رغمَ عُنفِ الرياحْ

السَمومْ

وسقْطُ المتاعْ

هل نُكَبّرُ فيكَ الأغاني؟

تتمجّدُ فيكَ الجُموعْ

أنتَ تينٌ

وزيتونُ بيتِ المُحيطْ

والضياءُ على الرَغمِ منْ كلِ آهاتِ هذا النشيجْ

هل نُذكّر فيكَ الشموخْ؟

دائماً لا رجوعْ

دائماً لا خُنوعْ

دائماً في نُهوضْ

رغمَ عُسرِ الطريقْ

2009

24 - ملامح غريبة

عَبَرَ الشيخُ الشارعَ عندَ يسارِ الحانَة
كنتُ لوحدِي
فرأيتُ القِطةَ عندَ البابْ
تتظاهرُ بالودِ
تتمصرُ في ترتيبٍ موسيقيّ
كانَ الكلبُ على مَقرُبةٍ ينبحْ
وتُزاحمُه..
صاحبةُ البيتِ السمراء
تجلسُ فوقَ العُشبِ المُمتدِ إلى بابِ الدارْ
تتهدلُ ثدييها مثلُ القِربَةِ المَنفوخَة
تبدو رَثّة
وعلاماتُ التعبِ المُزرِي
يغلقُ عينَيها

بسوادٍ مثلُ خريفٍ يعوِي كالذئبِ

سألتنِي

عنْ أخبارِ عِراقِ اليومِ

الشيخُ تنَحَّى منْ سَكْرانْ

والقطةُ ماءتْ

تتظاهرُ بالعطفِ

والكلبُ على مَقرُبةٍ ينبحْ

سَكراناً عندَ المَدخلْ

أتأففُ منْ وِحدةِ نفسي

أخبارُ عِراقِ اليومِ

كشَريعةِ غابٍ

لكنْ.. في الغابةِ قانونْ

وكصوتِ المِدفعِ

وحصَادِ الريحْ

القِطةُ والكلبُ اختفَيا

خلفَ الحانّة

عندَ تِلالِ الازبالْ

المرأة مدّتْ ساقيّها

بكنوزِ اللحمِ المُتهدلْ

راحتْ في نومٍ مُتقطِعْ

غطتْ عينَيها بمنديلٍ اسودْ

وأنا أتأففُ وقتِي الضائعْ

بينَ المرأة والحانّة

وسِكّيرٍ مَجذومْ

بينَ رنينِ الكأسِ الفارغْ

والوطنِ المُسبِي

بملامحِ تَظهرُ مَصْعوقَة

وخُطوطٍ زرقاء

وخُطوطٍ حمراء

وخُطوطٍ صفراء

وخُطوطٍ خضراء
وخُطوطٍ كاكية
وخَطٍ يفترسُ اللحظَة
بملامحِ تظهرُ مَحدودَة

2008 / 9 / 10

25 - غريبُ الوطنِ المفقود

صُعِقَ الغريبْ
وأفرغَ الصوتَ الأصيلْ
ولمْ يُخاطِرْ بالرجوعِ إلى الوراء
ففي الرجوعِ أنةَ الماضي جراحاتٌ قديمة
سَجَنَ الأنينْ
في صدرِهِ..
وتوارَى في القناني
أعابَ لفظِهِ العتيقْ
وعفا رَهاناً في الوعودْ
وواصلَ الدمعُ الغزيرْ
فلا صديقٌ في الجِوارْ
أو منْ بعيدْ
سوى الزَفيرْ

ولا قريبٌ يشتكِي
هماً..
سُوى الفراغْ
والهاجسُ الملعونُ يقرضُ في السرابْ
والحِسُ ينأَى عنْ مواضيعِ الجرائدْ
ويتيهُ في خِضَمِ الصِراعْ.
كتَمَ الدليلُ السرَ في القلبِ العليلْ
وتاه في وَسطِ الزَعيقْ
في حُلمِهِ وجعٌ قديمْ
مثلُ الجذوعِ الخاوياتْ
صعدَ الغريبُ
على مجساتِ الكلامْ..
فدقتْ الأجراسُ مُعلنةً فِراقْ
حزنٌ تتابَعَ كالذئابْ
بمخالبٍ سوداءْ شقتْ مُقلتاه

ورَمتهُ في جُبّ القلقْ

الحُزنُ منبعُه البِعادْ

فلا قريبٌ يشتكِي هماً لهُ

ولا صديقٌ في الجِوارْ

قلبٌ يدلُ على الوَداعةِ في اللقاء

قلبٌ يُيَتمُه البِعادْ

في غربةٍ سوداءْ نورُ الشمسِ فيها كالظلامْ

فيها العُيونُ الاصطيادْ

فيها التقَلّبُ والرياء

مدّ الغريبُ أصابعُ الندمِ الطويلْ

على ضَياعِ السابقاتْ

على ضَياعِ الحاضراتْ

على ضَياعِ القادماتْ

وغَفا على حُزنٍ تقمَصَ في الشّتاتْ

صوراً من الوطنِ القديمْ

صوراً من الوطنِ السجينُ
شكلاً من الوطنِ المُخرَبِ بالحديدْ
وطنُ المثلثاتِ في الهروبْ
في واحةِ العُمرِ الكَسيرْ
وطنٌ غريبٌ كالغريبْ
فُقِدتْ ملامحُه الكِثارْ
وتناثرُ النخلُ الجريحْ
على الحدودِ
فبكَى الغريبْ
وطنُ العذابْ

2010 / 8 / 20

26 - مساءُ الخيرِ يا مِنديلا الحُلمِ عَسِير

أمساءُ الخيرِ
يا مِنديلا؟
نحتفلْ
بالميلادْ
تِسعونْ
ماذا تغيرْ ؟
الحُلمُ عسيرْ
أنتَ ترَى الجلابيبَ الرَمادية
الفاقَةْ
المُلوثةْ
وبُطونٌ متخمةٌ حتى الثَمالَة
آخرونَ على صدرِنا قابِعونْ
يحتفلونَ بالشموعْ
وتقولُ مُبتسماً - أيُ يومٍ هذا!(*)

(*) قالها منديلا مازِحاً وكأنَّه لا يعرفُ يومَ ميلادِه

هناكَ منْ يحتفل بالدموع
من يحتفل بِعذاباتِ الشعوبِ الفقيرَة ؟
وعذاباتِ شعبِكَ الأفريقي !
فالإيدز
الإيدز فقَطْ
يخترقُ حتى عِظامِ النملْ
القهرُ الذي نالَ وينالُ مِنهُم
بالجوعِ
والفقرِ
بالموسيقَى التي تُغنْيكَ
يا مِنديلا
التِسعونْ
هُنا
في أرضِ الربْ
ارضُ الكلمةِ والحرفِ والقانونْ
يحتفلونْ بعذاباتِ شعبِي
بالأحذيةِ الثقيلةِ

التي يرتدِيها المارينز
بالطائراتْ
بالدباباتْ
بالقتْلِ المُنسَقْ
بالقاتلينَ المُدمِنينْ
لا تقُلْ لي
الحُرية
الحَضارة
التَطورْ
الديمقراطية
يا مِنديلا
الصبرْ
الصبرُ الموصوفِ بالأيوبْ
منْ يحتفلُ بالإيدز
سوَى الفقراءُ من السودِ والبِيضْ
والـ..«Apartheit الأبارتايد الجدد»
بالهكتاراتِ منْ الأراضي

بالعِماراتِ السَحابْ
بمناجم الماسْ
المَملوكة في بلدِكَ الأسودْ
أولئك الذينَ ناموا ومازَالوا ينامونَ بالحَريرْ
أمساءُ الخيرِ
يا مِنديلا؟
مساؤكَ جميلْ..
الحُلمُ عسيرْ
يا مِنديلا
بينَ الأضواءِ
والشُموعْ
والأغاني
الصباحُ انتهَى
انتهَى
وأيُّ يومٍ هذا!
السجنُ تغيرَ إلى قصرِ
السجنُ انتهَى

انتهَى

القصرُ بِداية

القصرُ بِدايةْ

للعَفو الصادرِ منْ الكونغرس الأمريكي

انَّكَ أصبحتَ نَظيفاً

الآنْ

لَطيفاً

ومُبارَكاً

صالِحاً كمواطنٍ عالمِي

لستَ بالإرهابي

الإرهابِي القديم

الإرهابِي الذي يقفُ معَ الشعبِ الفلسطيني

الإرهابِي الذي كان بالضد من العنصرية

Apartheit الابارتيد

الإرهابي الذي يكرهُ الفقرَ والإستغلالْ

لأنَّ اليانكي قالَ أخيراً كلمتَه

انكَ سليمْ

مأمونُ تماماً

انكَ لنْ تزعجهم بعدَ الميلادْ

ولكنْ قلْ لي

ماذا تنتظرُ ؟

الإعلانُ عنْ قانونيةِ البِغاء(**)

لقمةُ الخُبزِ

الخلاصُ من بُيوتِ الصفيحْ

ملايين السُودِ والبيضِ اللاجئينْ

همْ يمتلكونَ بيوتِ الصفيحْ

أمساءُ الخيرِ

يا مِنديلا؟

بُيوتُ الصفيحِ

مازالتْ كمَا كانتْ

والحُلمُ عَسيرْ

ما الفرقْ؟

(**) اقتراح الترخيص القانوني للدعارة في شارع دوربان ــ أثناء مباراة كأس العالم لكرة القدم في جنوب أفريقيا 2010

الحُكامُ فقطْ.. تبدلتْ ياقاتُهم
العُنصرِيونَ تبدلوا
ديمقراطيونَ الآنْ
التقيَة مطلوبَة
مازالوا في الشُرطةِ
في الجيشِ
وعيونٌ ضبَابيَة
تقبعُ خلفَ الطاولاتِ الكَبيرة
أمساءُ الخيرِ ؟
يا مِنديلا
منْ يحتفلُ بعذاباتِ شعبِكَ وشعبِي ؟
بالفقرِ
النفطْ المَسروقْ
بالتقسيمِ العِرقِي
الطائفِي
أليسوا هُم
المُبتكرِينَ فنَ اللُعبةِ في أفريقيا

المُبتكرِينَ في لُعبةِ جرِ الحبلْ
في السنواتِ الغابرَةْ
في بلدِي
أليسُوا الطِرازُ نفسُه!
فمساءُ الخيرِ
يا مانديلا
«هابي بيرثدي
هابي بيرثدي
هابي بيرثدي»
وأنتَ تحتفلُ بالتسعينْ
وتقولُ الحُرية !!
الحُلمُ عسيرْ
ولكنَّ الحُلمَ باقِي .....

2008 / 7 / 22

27 - مفاصل بيئية

- 1 -

تتساقطُ أوراقُ الأشجارْ

فتحدِثُ أصواتاً في ارضِ الغابَة

تفتحُ شَرخاً مَبلولاً منْ صدغِ الأرقِ الجاثمِ في البُرعمْ

تعلو منهُ..

ألحاناً شَجَيةْ

تتقطّرُ منْ قلقٍ قادمْ

يَهبطُ في أعماقِ جذورِ الأشجارْ

تَسقطُ أوراقُ الزيتونْ

على ظهرِ الأرضِ

تفتحُ شَقاً

كالجُرحِ الغائرِ في الصدرِ

فيغوصُ الزيتونُ إلى العمقِ

تظهرُ في الشكلِ طيورُ النورسِ بيضاء

باللونِ النفطِي المَنزوعِ مُحجَلةً..

تبدو الزيتونةُ كالوِطواطْ

حدباءُ على النهرِ.

تَفْتَحُ أروِقة الغاباتِ على دربٍ ضَيقْ

ما بينَ الأحجارِ وبينَ الخشبِ المحروق وجذوعٍ

سوداء

تبكي منْ نَثرِ رمادٍ عمّ الكونْ

– 2 –

تتساقطُ أمطارٌ في الغاباتْ

تحفرُ نهراً

يُصْدِرُ أنغاماً سحرية

تبدو الأمطارُ على الأرضِ

كاللَوزِ الجبلِي.. ناعمةً وطريةْ

تغرزُ بينَ الأشجارِ وبينَ الأرضِ

روحُ الأحياءْ

فتجفُ على الفورِ رموزُ الموتِ

وتعودُ طيورُ النورسِ للبحرِ

بيضاءُ بلونِ الثلجِ

باللونِ الزيتِي المَعصورِ مُحجَلةً.

2007 / 9 / 1

28 - جيادُ النوارِسِ

أحببتُ أنْ أراكِ يا جيادنا النوارسْ
فوقَ السحابِ
حتى أحيي طلعتكْ
يا مرحبا..
يا مرحباً..
كيف ترينَ قامتِي هُناك؟
غمَّازةُ الطريقِ
أينَ المرَايا والحُصونْ؟
والحُممِ البُركانِ في الأنهارِ
تصعدُ نحوَ الشمسِ
الريحُ في الجبالِ
تركبُها المرَايا
تغوصُ في متاهةِ السرابِ

هذا السحابُ النتنُ يُنثَرُ في البلادِ
والريحُ تَنشُرُ الترابَ
ذراتُه تغوصُ في العيونِ
وتجرحُ الجفونَ
وعندما.. ستبردُ الدُنيا منَ النيرانِ
ستظهرينَ يا جيادُنا النوارسْ
في منبعِ الأشجارِ
وتهبِطُ الطيورُ منْ براعِمِ ألأغصانِ
يا مرحبا..
يا مرحباً..
أخافُ منْ شوقِي إليها
أنْ أبدأ التِجوالِ
كيفَ ترينَ يا جيادُنا النوارسْ؟
الجُمةُ الحديدُ
وقامتِي على الطرقْ

سوداءُ مثلَما نرَى

وهلْ سديمُ الريحِ

مِهمازُها.. مِنْشارُ

لجامِها.

منْ نارْ

جناحُها. كالشجرِ المشجورْ

أسودٌ مثلُ القارِ في القرارْ

هذا السحابُ النتنُ في الطريقْ

منبَعُه السّديمْ

يا مرحباً

يا مرحباً

كيفَ ترينَ جُثتي في النورْ؟

16 / 8 / 2007

29 - القطُ الغجَريُّ

القطُ الغجريُّ يموءُ طوالَ الوقتِ
ويموءُ عنيداً
يُصدِرُ أصواتَ التوصيلْ
وطوالَ الليلِ وحيداً
وطوالَ الوقتِ المَنسيْ
يتفحَّصُ في الجدرانِ العُلويةْ
يُحدّقُ في سرّ الضوءِ المَفتوحِ على سطحِ الدارْ
يحدّقُ مُنفعِلاً لا يأبَهُ للبردِ
وشِباطُ القارصِ عندَ البابِ يُغنِي
يرسِلُ ريحاً ثلجيَّةْ
القطُ الغَجريُّ يموء
بفاصلِ حدِ الدعوةِ للّهوِ على إيقاعِ المطلوبْ

يتعقّبُ ظِلاً
يتحركُ في بُطءٍ
ويُحاذرُ أنْ يسقط في الفخّ
في الفجرِ المُرَطبِ يُغلِقُ عَينَيهِ..
لا يغفُو
يحلُمُ بالأُنثَى
وغنائم ينقضُّ عليها
القِطُ الغجريُّ المُهمِلْ
في صمتٍ ليلٍ يَتغزّلْ
حتى يَتَعوّد فنّ الحُبّ
كانَ يظنّ بأنَّ القنّاصَ الذَكريَّ الجاثِمُ فوقَ الدارْ
لا يصطادُ سوَى الأرنبْ،
والفأرُ الفِضي
القِطُ الغَجريُّ يكشفُه قمرٌ
يفضحُ سرَ الوَثبَة
وشِراعٌ تكسِرُه ريحٌ ثلجيَّةْ

منْ قنّاصٍ ذَكريّ
يُحدِقُ في ظلٍّ
يسرحُ ما بينَ القفزةِ والفزّة
تدفعُه الدّهشةُ أنْ يسقُط منْ أعلَى
يسقطُ في الفخِ المرسومِ بفنّ الحِيلة
القِطُ الغَجريُّ الفالِتْ
من وقتٍ منسيٍّ
يبقَى في الليلِ وَحيداً
يحلُمُ بالأُنثَى
ويُفكرُ في الفُرصَة
وغنائمُ تَهربُ مِنْه عَبَثاً،
يُغلِقُ عَينَيه ويغفو فهوَ المُتَربِصْ
وهوَ الخائفُ منْ قنّاصٍ ذَكريٍّ يحمي أُنثاه
ويراقبُ سطحَ الدارْ.
2009 / 5 / 1

30 - هو العِراق

الريح تأتي بالخُيولِ الغابِرَة
أصواتُها
عَساكِرُ تهوي بأحذيةِ الصَديدْ
هَذي الأَجنّة منْ شتاتِ المُفرداتْ
أسواقُها نَخاسَةُ الأطفالْ
بَيعُ المُرضِعاتْ
هَذي الخُيوطُ المُرفقاتْ
بالورقِ القديم والقلمِ العنيدْ
ومنْ رُفوفِ الناقِلاتُ
سحابةٌ تأتي بِلا مَطرْ
وفي سُباتٍ ترتَحِلْ
كأنَّها حُلمٌ تعثرُ بالذُبولْ
هوَ العِراقْ..

يُزَفُ في كهفِ الظلامِ الغَثِ
يغسِلُهُ الدمارْ
الرملُ يمضُغهُ ويطمرُ صوتَه
والشرُ يبصقُ غِلّه
بصحبةِ الخطبِ الدُعاة
هيَ الرياحُ المُظلماتْ؟
تُمحو التواريخَ العَتيقَة
والمُملةِ بالعَويلْ
جزرٌ
تقومُ على امتدادِ الوقتِ والمكانْ
جثثٌ منْ الفِكرِ الجَديدْ
جثثُ الضحَايا القابِعاتِ على الحروفْ
ماذا عنْ الأوغادْ؟
صُنّاعُ مَجزرةَ النِساء
صُنّاعُ مَجزرةَ الطفلِ الوليدْ
قاموا معَ الأحداثِ تعزفُهم جذورُ النَزْفْ

يختزلُ الجُسورْ

هوَ العِراقْ..

تُصاغُ فيهِ فِكرةَ الخُضوعْ

وتحتَ صولاتِ التلعُثم والحِجابْ

مُدنٌ تقومُ على نَزْفِ النُحورْ

ذاتُ الشوارعِ فارغةَ وعلى الجِدارْ..

تلكَ السمومِ القادِماتِ منْ الجحيمْ

الزاحفاتُ بِلا وجُوه

تُنكَسُ الرايات فيها

الريحُ تعصفُ بالقلوبْ

ماذا تبقَى في الوجُوه؟!

أهَو اصفرارُ النزفْ!

أم اجترارُ العَصفْ!

ومواقعُ الخسفِ الجَديدْ

تجديدُ جَلْدَ الذاتِ بالطُقوسْ

أو التنابُزُ في القَبولْ

أهوَ الرَنينُ العازِفُ المِعيارْ؟
والداءُ خَسْفاً في الرَجيمْ
هي المدينةُ تبحثُ الأجواءُ عنْ ميلادَها
ومَنْ أرادَ لها الحَياة؟
فإذا بها تخضعْ لقارعةِ الهَوامْ
هوَ العِراقْ..
الدامِعُ العينينِ في طلبِ الرَجاء
السابِلُ الجَفنينِ مِنْ قِيَمِ العُزوفْ
الدمُ يُغرِقُ كاحِليهْ
يُنهِي أغانِيه القديمةْ
ويلبسُ الثوبَ الحديدَ منْ جَديدْ!

2009 / 6 / 1

31 - سيدتي خريفُ عُمُرِكِ المَرئي

سيدتي أقولُ عُذراً منْ صرَاحتِي
فأنا وأنتِ في المَحكْ
وما يجيشُ بخاطِرِي
أريدُ أنْ أكشِفَه لكِ
لأنهُ التداعِي في الخُطوبْ
وهو الغروبُ بعدَما ولَّى الشروقُ إلى الأبدْ

.. ..

سيدتي
التي تُشاغِلُ نفسَها
في رحلةِ العُمرِ السريعَة
في رَجفةِ الطريقْ
وتُشاطِرُ الوَجه الخرِيطة
أصبحتِ في خريفكِ المَرئيِّ بِلا حُدودْ
لأنهُ يختصرُ الطريقَ للأفُولْ

وهوَ البدايةُ والنِهايةُ والمُثولْ

.. ..

سيدتي
التي تُراقِصُ غَنجها
ذبيحةٌ تُنافِسُ البقَاء
في صرخةِ الوليدِ للحليبْ
صُراخُكِ الذي يُريدُ عودةَ الماضي هُراءٌ في هُراء
لأنكِ.. أصبحتِ كالمومياءِ في الرؤى
ظهرتِ بالألوانِ مثلُ البَغاء
أردتِ أنْ يعودَ مجدُك التقليدْ
وفي الجوابِ لا..
لنْ تسْتفيدي في السِباقْ
سوَى اللُهاثِ والسُقوطْ

.. ..

سيدتي
ها أنتِ تبدئينَ بالطّوافْ
وتعرضينَ قلبَكِ المسكينَ للعُشاقْ
هَفهافَةِ العُمرِ بِلا رَفيقْ

وانحسرَ السَربْ
وعادَ كالسرابْ
وابتدأ الغُروبُ لا شروقْ
ها أنتِ تخسَرينْ!
جوَلاتَكِ الجديدةِ المُزركَشة

.. ..

سيدتي
إذا رأيتِ أنكِ في آخرِ المَطافْ
تُحطِمينَ جُنحِكِ المَعطوبْ
فابتعدي عنْ الغنوجْ
ولُعبةِ الصُنوجْ
واختصري الطريقْ
فلا صبيةٌ في الصبابةِ إنَّما
هذا التصابِي بالرُجوعْ

.. ..

سيدتي
لا يدَّعِي العاشقُ بالعشقِ الكلامْ
أو الإشارةِ في الغرامِ كأنَّه صَخَبُ الألمْ

ففي المحطةِ الأخيرةِ القُدومُ والوقوفْ
و«الباص[1]» مثقلٌ بما يُريدْ
ومثقلٌ بالحسراتْ
فهلْ يُفيدُ أنْ تكوني عَبدَة
في العصفِ والسلالِ الحديدْ
«الباص» مكتظٌ فلا مكانَ للخَريفْ
والوردُ ينضجُ في الربيعْ

.. ..

سيدتي
سنينَ عَمرَكِ مِثلُ أغصانِ الشجرْ
أسقَطَها الخَريفْ
فوقَ ساحةِ الرصيفْ
وأصبحَ الكلامُ كالفراغْ
سفينةٌ تجوبُ لا هدفْ
شراعُها مُمزقُ الجوانِبْ
رُبانُها لا يعرفُ المسيرْ

(*) الباص: حافلة الركاب

سيدتي
خريفُ عمُرُكِ الجلّادُ بالمرصادِ والتربُصْ
ينتظرُ الفُرصةَ حتى ينتهِي من الحِسابْ
فانتبهِي للوقتِ يا عزيزتي
وانتبهِي للسخْطِ والجزوعْ
وانتبهِي .. لا تعثُري كالفرسِ العجوزْ
لو تنظرينَ في هدوءٍ لا انفعالَ
وتُبصرينَ وجهَكِ الخَريطة
ستعجبينَ كيفَ لا تُقارَنينَ
في صومعةِ المرآةِ والحَقيقة
في رحلةِ العمرِ الصغيرة

.. ..

سيدتي لا تغضَبي منِّي أنا المُحبْ
أقولُ عُذراً منْ صراحتِي
لا تعذلي ريحَ الصِبا أنْ هبَّ ذاكَ زمانُه
لا تحزني للهبَ قد يهبِطْ مقامُه
لا تجزعي للعجزِ إنَّ العجزَ ميزانُ الطبيعة

فمثلُما قيلَ لنا في المثلِ الحكيم
«مَنْ كانَ يمشي في الصباحْ(*)
على قوائم أربَعَ
وصارَ يمشي ناقِصاً اثنينِ في الظهيرة
وراحَ يمشي على الثلاثَ في المساء».
ألا هوَ الإنسانُ في الجوابِ؟

2013 / 1 / 10

(**) قيل في الأدب التمثيلي أن هولة «أبو الهول أُنثى أو سفنكس» كانت مُتوحِشة تسألُ من يريدُ الدخولَ إلى طيبة ومنْ لا يجيبُ يُقتَل «منُ هو الذي يمشي في الصباحِ على أربعٍ وفي الظهيرةِ على اثنانِ وفي المساءِ على ثلاث؟» ولقدْ أجابَ أوديب مما أدى إلى هلاكِها .. المقاطِع بتصريفٍ من الشاعر.

33 - دمشقُ الحبّ والزيتون

دمشقُ ومِثلُ مُهرٍ في الفلا
يُسابِقُ عمرُه الريحَ
دمشقُ النحلةُ المرعىَ
صباحُ الحبِ والنجوَى
صباحُ الوردِ والأزهارِ
صباحُ الطيرِ والأثمارِ
صباحُ الناسِ في الأعيادِ
صباحُ الشمسِ في المغربِ
صباحُ الشمسِ في الفجرِ
صباحُ الخيرِ والصَحوة
وخيرٌ منْ عيونِ الكُدّحِ الفُقراء.
صباحٌ كلُه قُبلاتْ

وشوقٌ كلُه ضحكاتْ

وعهدٌ منْ الذكرَى

لبلداتٍ بقربِ البحرِ تشرقُ شمسُها ليلاً

وصُبحاً يهيمُ نُعاسُها في لُجةِ الأمواجِ

على الأجسادْ

لأريافٍ لها مدٌّ لوديانٍ من الأشجارِ مَوصفاتٍ بالجنة

وأصواتٌ تناجي البلبلَ الحيرانْ

أبو فادي سليلُ الوجدِ والعنبرْ(*)

بصوتٍ ناعمٍ سهرانْ

يُغني الودَ في الزيتونْ

أبو فادي

«وادريكيش» في الوادي(**)

سَكَرنا قُربَ بابِ البيتِ

ومنْ أشجارِها الزيتونْ

(*) أبو فادي صديق فنان مُغني من الطراز القديم

(**) ادريكيش منطقة سُكانية جبلية كقطعة حلوى

أكلنا منه عُنقوداً

وعُرساً منْ الدبكاتِ

وأياماً منْ السهَراتِ

وكالبيضِ في الماعونِ بيضاواتِ

وسمراواتٍ كالخبزِ منْ التنورِ

وحاناتٌ منْ الأصحابِ

ومنْ هاشمِ الونوس (*)

سلاماً للْسلامية

«لتامر الهابيلْ»(**)

وقلباً من الألماسِ

بِحُبِ الناسِ والأجناسِ.

وأحياءٌ لهمْ عَبَراتْ

وأسماءٌ منْ البلورِ

تخطُ النورِ منْ قلبٍ

(*) هاشم ونوس رفيق من السلمية

(**) تأمر هابيل أبو محمد رفيق صحافي وشاعر كاتب من السلمية

لحبِ الأهلِ والجيرانْ.
دمشقُ الحُبِ والسلوَى
شُجوناً في هَواها
وعطرُ أمنْ سماها لونُه زنبقْ
لكَ اللوعةُ الحيرَى
لكَ القِبلةُ الأحلى
وأنتِ الفلّةُ التاريخْ
وأنتِ الصيحةُ الأولى
لكِ قلبِي
لكِ الذكرَى
وفاءٌ لا يُمسُ ولا يغيبُ الشوقُ عنْ بالي
فماؤكِ عطرُ أيامِي
وخمرُكِ الريانِ للنشوَى
دمشقَ الودُ لنْ ننسى
ففيكِ الأصلُ سوريا

صباحاتكْ

واهلُك يا سنا نَجماً

ويا نبَعاً منَ الألوانِ والأحلى

عفيفٌ منْ نوَى همسٍ

ومنْ شوقٍ للقياكِ

عساكِ كَرمةٌ تُسقَي

بذوراً للتآخِي والعِناقِ

وانْ يعلو سماؤك طيبَ شعبْ

ليبقَى لسوريا نديماً للتلاقِي

2012 / 1 / 1

34 - مدنٌ ترحلُ في العُزلة

في باديةِ المُدنِ البَدوية
تُرهبُني العُزلةْ
ترهُبني فكرةُ أنْ ابنِي بيتاً
أو غُرفة خَوفاً منْ صاعقِ .
تُوجعُني أحلامُ اليقَظة
أتقلبُ طولَ الليلِ
وأعدُ النجمَ المُترامِي فوقَ رؤوسِ البَدو الرُّحلْ
فيغني الرجلُ الحالمُ تحتَ مياه البحرِ الأبيضْ
ويُنادِي البحرُ الأحمرْ
«البحرُ بيضحكْ مَهموماً
والبحرُ الغدارُ الراجلُ لا يرحمْ(*)»
أعجيبٌ أمرُ القلبِ؟

(*) للشاعر المصري احمد فؤاد نجم بتصرف

ليسَ عجيباً،
أنْ يشغلُ وجداني، الصوتُ القابعُ في صدرِي المُنفِى
يعذرُني مَنْ يسمعُ صوتي
فيُبشرُ بالقادمِ منْ عُمقِ شُجوني
صوتُ الريمِ الهاربِ سراً
قُربُ الخيماتِ الجنياتْ
لا صوتاً اسمعُ في المَنفَى
إلا صوتُ أنينُ الريمِ المَرسومِ على الوجهِ المَختومْ
الصَرخةُ ليسَ لها مَعنَى
إنْ كانتْ خافتةً
أو كانتْ مَسموعةْ
لكنَّ الأمرَ المعتادَ
في ظلِ القَطرانِ المَغلي
القطرانُ المتربعُ فوقَ الهاماتِ
أغريبٌ لا معنَى قرارْ؟
ليسَ غريباً أنْ تنزِفَ حتى العظمِ بيادقُ كانتْ
تتقاذفُ فنَ اللغطِ المسمومْ

فتغوصُ الأرجلُ.. جرداءَ كلونِ الأرضِ العطشَى
في منقارِ فتاوَى مَشغوفةَ باللونِ، وبأقفاصِ القطرانْ
أن تنظرَ في الأُفقِ
وتتابِعُ ذاكَ الصوتَ المَخزونْ
صوتٌ يتدرجُ في ما خورِ الحِرفةِ
إلا لو كانتْ امرأةً..
امرأةٌ منْ أصدافِ البحرِ
امرأةٌ حُبلى بالألياف البشَرية
تنقلُ صوتَ البحرِ وأصواتَ الجنياتْ
في الخيمةِ المعزولةِ.
امرأةٌ كانتْ تبكي جسداً خاوِي
منْ أملٍ في نفخةِ ريحْ
أبوابُ الخيمةِ في الربعِ الخالي
بواباتُ جحيمٍ مكتومَة
بدماءٍ كالشمعِ الأحمرْ
لا يدخلُها إلا الباكِي
والمُتحسرْ

والشاكِي
المُتعفِرْ
والراكِضُ خلفَ الأشجارْ
بترابِ المُدنِ العزبَاء..
مدنٌ تسكَرُ منْ قحطٍ، قُربَ المَقبرةِ الباكِرْ
قُربَ الفُسحةِ منْ رملٍ مُتخثِرْ
أدِماءٌ تلكَ دِماءُ نساءٍ مختوماتْ ؟
أدِماءُ المَرقوماتِ بلونٍ أسودْ؟
أدِماءُ المُختاراتِ بحكمِ الفُسحةْ؟
أدِماءُ البيَضِ المَفقوسِ بوطئِ الأقدامْ؟
تتوطدُ في أعراسِ دماءِ الخَيمَة
وجهاتٌ في التقسيمِ الجُغرافي
تتقاسمْ كلُ جهاتِ البادية..
مدنٌ تتقلبُ بالمقبولاتْ
حيثُ شرارِ التفجيراتْ
يتقافزُ عندَ المُنحدراتْ
مُدنٌ ترخِي، تتوخَى الحذرَ المُستعجَلْ .

أتدثرُ في باديةِ المُدنِ المَسحورةِ بالمدعواتْ
أسمعُ أصواتَ بُكاءٍ مجروحْ
أسنينُ العتمةِ لا تنهي
جزعِي المكبوتْ؟
هذا الدمعُ المسفوحْ!.
مُدنٌ تسقطُ في التبشيرْ
مُدنٌ تستيقظُ في التفجيرْ
مُدنٌ تقفزُ فوقَ الذاكرةْ
مُدنٌ كالمومياءِ تُحاكِي المَنصوصْ
تجلسُ فوقَ رمادِ الوقتِ المَشبوه
تركعُ في سابقةِ الركضِ بِلا أهدافْ..
أمَوتٌ يمشي في الطُرقاتْ؟
هذا المَخزونُ بِلا مِيلادْ
أمَوتٌ في الطرقاتْ؟
منْ يقبلُ بالقتْلِ ؟
سُننٌ تقبلُ بالقتْلِ الميراثْ

وتقولُ الدُنيا خيرْ
والمُدنُ الباديةُ راحتْ تتنابَزُ بالألقابْ
ونِساءٌ في سوقِ نِخَاسةٍ عَصريَّة
كدليلٍ للرَجعةْ
وشعارات التضليلِ المسبوقةِ بالوعدِ القادمْ
الوعدُ دخولُ الفِردَوسِ دونَ حِسابْ
وشعاراتٌ تُغلِقُ نورَ العقلِ
كدليلٍ للتزييفْ
كي تُغلِقَ بواباتِ المُدنِ المَعطوبةِ أصلاً بالعِصّاباتْ..
فتُراودُني الفكرةْ
أنْ لا ابنِي بيتاً
أو أسكُنْ غُرفةَ
في مُدنٍ يملأُها الخوفُ منَ الماضي
وتخافُ المستقبلْ!

2015 / 6 / 1

32 - حُبُ زمنُ التداولِ والتحول

- 1 -

لي حبيب غابَ عني خُطوةً أو خُطوتين،
وتأرجحْ ماضِياً
لحظةً أو لحظتينْ
سنةٌ أو سنتينْ،
هكذا الدُنيا كحُلم مسرحي
تختفي الأضواءُ في صمتٍ وفي هَرجٍ تُضئْ.
كانتْ الذكرَى عبيراً
وسنا بينَ ذراعيّ
أتخطَى سنّةً كلَ المرافِئ
بوقودِ النظرَتينْ
وحُدودُ اللوحَتينْ
وعُطورُ القِبلَتينْ

وعِباراتٌ تُغني حولَنا..
يا حبيبي أيُّها السائلُ عنِّي..
كيفَ تحسِبْ وقتَنا المَمشوقْ منْ سيفِ الأغاني
أنَّ صوتاً منْ ثنايا العِشقِ خُدعَةْ
«يا حبيباً زرتُه يوماً بهياً» فتشَظى قِطعتين(*)
أتظنُ البعدَ قاسي،
أتظن الحُبَ عُنوان التلاقِي والحُضورْ!
كيف أنسَى عطرَك القائم في رِيشِ الوَسائدْ
أنتَ صادقْ يا حبيبي؟!.....
أنْ تقولَ الكلِمَتينْ
بوداعِ الشَفتينْ..
يا وداعاً كالشراعْ
أنتَ تمضي مثلُ نِسمةْ في الحُقولْ
رغمَ أنِّي أختنقْ زَجراً ومنْ مُرّ الذبولْ

(*) البيتين غير متسلسلين غناء أم كلثوم .... للشاعر الطبيب (إبراهيم ناجي)

يَـا حَبِيبًا زُرْتُ يَـوْمًـا أَيْـكَـهُ طَـائِـرَ الـشَّـوْقِ أُغَـنِّـي أَلَـمِـي
كَيْفَ ذَاكَ الْحُبُّ أَمْسَى خَبَرًا وَحَدِيثًا مِـنْ أَحَـادِيـثِ الْجَوَى

إنْ تقولَ القولَ هذا دونَ أنْ يرمِشَ جَفنٌ
ثم لا تدمعُ عينٌ!..
كيفَ تنسَى في الليالي الزفرَتينْ؟
كيفَ تنسَى المِرفَقينْ؟!....

– 2 –

لي حبيبٌ ساطِعٌ مثلُ الشُموسْ
في حواسي
ويُجافِي الصبرَ بالصبرِ اقتباساً لا خُضوعْ
عندما غابَ التواصُلْ
صارَ فجرِي مثلُ ليلي
صِرتُ كالغائبِ منْ حُزني
صِرتُ مَذراةَ الخرابْ
فانتشَى منْ عذابِي في العذابْ

.....

– 3 –

غَجريٌ.. يا حبيبي
أيُها الساكنُ عِندي،

في الأماسي،
والصباحاتِ المُنيرةْ
ثُمَّ في طَرفةِ عينٍ
غبتَ سِراً،
مثلُ أشجارِ التَحولِ في الشِتاء
تسقطُ الأوراقُ كي تنمو جديداً في الربيعْ..
يا حبيباً يقتربْ
قابَ قوسينِ
يا حبيباً يبتعدْ..
فرسَخاً أو فرسَخينْ،
يرتجلْ فوقَ التماسي بالبَقاء
يتلونُ مثلُ حِرباءِ البرارِي والحُقولْ..
.. ..
لي حبيبٌ قامَ قُدامِي وغابْ
وارتحلْ في العينِ منِّي لا رُجوعْ
أو عتابْ

وابتعدْ نحوَ التفرُدْ

وتناسَى اسمُنا زوراً وبُهتاناً عَجيبْ..

يا حبيبي، أيُها الحامِلُ مشروعَ الظُنونْ

كيفَ تقبلْ كلمةً صارتْ دخِيلاً للفِراقْ

وتشظتْ في الظنونْ

كلُ أحلامِ التمنِي في غِيابْ

ثم صارتْ بينَنا سُوراً وسداً للتقاطُعْ

ومساميرُاً تُقرحْ مُقلتينْ

كيفَ إنّا نفترقُ يا صاحبي

مثلُ جرحٍ في الضبابْ

ثم نأتي للتلاقِي كالصحابْ

2016 / 5 / 16

33 – محطات لنصوص شعرية

1 - مُحاولة

سألتُ عنكْ صباح كلِ يومِ
وفي المساءْ، قررتُ أنْ أنساكِ لحظتينْ
في لحظةٍ
تقتبسُ النفْسُ رِضاكِ
ولحظةٍ أعيشُ مُبتغاكِ في المباحِ
فكنتُ كالنارِ على الهشيمْ
تفضحُ ما بينَ ثناكِ
لستُ أنا منْ يهتدِي بِغَويَتينْ
لأنَّني احفظُ في السرِ جفاكِ
فمرةً تتيهُ في هواكِ
ومرةٌ تعودُ كالرضيعِ حينما تجوعْ

فلُعبةُ الحبلِ تزيدُ حالتِي نسيانَ كي أنساكِ
لأنَّني في الجرِ كالمفقود بالجراحْ
فاسمحْ لي التفكيرَ في المساءِ والصباحْ
في اللحظتينْ..
بالفكرتينْ في ارتياحْ

2 - **ببغاءُ في فنِ الخُطَبْ**

هلْ لا ترَى؟
بَبغاؤنا صارتْ عَجَبْ
تَسابقُ الصوتُ الذِي
هَجَرَ اللقاءَ وصارَ كالطيرِ المُهاجِرْ
تتوسدُ الأرضَ التي نبتَتْ عناقِيدَ العنبْ
لكلِ مَنْ هبَّ ودبْ
ثُمَّ ارتمتْ بالقربِ منْ ساقيةِ الوصولْ
كما اعتلتْ منصاتِ الحَطبْ
كي تُشعلَ النيرانَ فيهمْ

فوقَ المتاهاتِ التي تفننتْ شكلَ الخُطبْ

حتى يُسابِقُها الغضبْ

هلْ لا ترَى؟

هذا التّداعِي في أفانينَ الحربْ

وما جرَى منْ موبقاتْ

ثُمَّ التحايلُ في الرُتَبْ

3 - **المعنى**

عَنيتُ بالدفوفِ رنةَ السيوفْ

بشرتُ بالطُيوفْ

من رعشةِ الخُسوفْ

آمنتُ بالكلامْ،

لأنَّه الخُروجْ والكُسوفْ

حلمتُ بالرفوفْ

رفٌ على الجبينْ

به الوجوهُ مُعتماتْ

رفٌ على السُقوفْ

به العيونُ ذابِلاتْ

رفٌ يُحاكِي القادِماتْ

بقوةِ الهروبِ والنّجاة

مِنَ السنينِ العاتياتْ

رفُ يغازلُ الحوارِي في الصُنوجْ

رفٌ يُمازحُ الغِلمانِ في غنوجْ

رفٌ يغوي الجارياتِ المُهمَلاتْ

بَطُلتَ في الكلامِ والخروجِ والشُغوفْ

غَفُلتُ سَكرتَ الاثنينْ

وصمتُ دمعتينْ

وكنتُ فَطِناً مُعتِماً مَندوفْ

مُخرطُ الحروفْ

أمنتُ بعدَ سَفْرةِ الجَناحِ بالموصوفْ

أنْ أترُكَ الوقوفْ

واُسقِط الرُفوفْ .....!

4 - رَجفةُ القلق

كُلمَا جاءَ الأرقْ
حامِلاً حِزمةً، مِنْ قَلقْ
صِرتُ ريحاً
منْ ورقْ
نازِفاً مُهجَتي
ضاغِطاً كلِمَتي
مثلُ همسٍ في شفقْ
أتداعَى كالشظايا
منْ ألقْ
في دواخلِ نَفْسي كالضجيجْ،
بيدَقاً منْ عَرَقْ
صيحَتِي تَبقَى سُكوناً
كالغرَقْ
وشُعوراً عالِقاً منْ رَحيلٍ
في علقْ

أنتَ مَنْ يبحثُ وَصْلاً
مثلُ نفخٍ في طبقْ
وبلا معنىً قريباً
كُلَما جاءَ الأرقْ،
باسِماً
صارَ نَجْماً يَحترِقْ
ثُمَّ شَدواً يَفْترِقْ

5 - **مُشاغَلة**

شَاغلتُ طَيفَكَ في هواكْ
أبغِي رِضاكْ
ارتقبُ النّجاة
خوفاً منْ الغُلِّ العُتاة
فهل تُراني قادراَ
مِنَ الحِراكْ
وكسرُ طوقَ
عبادِتي

وأنتَ في عزِّ سَراكْ
يُلوحُنِي قهرُ جفاكْ
يُبانُ لي عِبادةٌ
كأنَّها ظِلٌ يُتابعُني عَداكْ

6 - **هدية للتاريخ**

أيُّ بسمةْ.. في ارتيابْ
يا تقاطِيعا مِنَ الماضي وأسرابِ الذُبابُ
ونُباحاً مِنْ كِلابْ
فبكَ الحقدُ المُلازِمْ للذِئابْ
وبكَ النذلُ عرابيد اً تعابْ
يا قريباً في التشفِّي
وبعيداً في المُصابْ
أتُرَى لؤماً وفي عينَيكِ مُذابْ؟..
وتقولُ اللهُ يعفو مِنْ عَذابْ
أنا لا أجنِي عليكْ،
هوَ قولِي: أيُّها الناكِرُ حتى مِنْ يدَيكْ

في حضورٍ أو غيابْ

لا تسامحْ.. في النذالاتِ التي تَعلو العِتابْ

7 - **رجاء**

رَجوتُ أنْ تضعْ يدَيك في كَفِّي

طمَعتُ أنْ تكونَ لا ضَجيجْ

لكنَّ الذي فيكَ مِنَ الوسواسْ

كعلةِ الشيطانِ في الخَناسْ

ورحتُ تسكُنُ في العَجيجْ

وخَيطُ عنكبوتْ لقهرِ الناسْ

وهكذا كُشِفتْ يا قلةَ الإحساسْ

عن نفسِكَ الدساسْ

8 - **كيفَ.....!**

كيفَ تكونُ صامِتاً

ثُمَّ تقولْ

كانَ الحديثُ رائعاً

للامثلِ القَبولْ
كيفَ تكونُ جاثِماً
بِلا أُصولْ
ثُمَّ تقولْ
كانَ الطريقُ مُشبَعاً
بِسرعةِ الجِيادْ
كيفَ سترضَى بالمَديحْ
والقيمِ الجُما لْ
وأنتَ مذمومٌ غُرابْ

9 - **نص ندبة**

نَفَخَتْ وجوهٌ منْ قِربْ
لأنها كسلتْ، بما جنتْ بها
رؤيا عجبْ
فتغربتْ قيمٌ، وصارتْ في لهبْ
وتفننتْ، عاهاتُ مَنْ نَدَبْ

وتسامرَتْ، فينا الجُروحُ

من تعبْ..

وتقزَّمتْ، تلكَ الوجوه

النادِباتِ بِلا سببْ

وبِحقدِها، نمتْ الطحالبُ

من جَربْ

من 2 / 5 – 3/ 9 –/ 2017

34 - عيونُ الخريفِ في مدينة ساربسبورك Sarpsborg(*)

1 - الرؤيا

ساربسبورك تبدو كالحَملِ تُودِعُ صيفاً حارْ
الصيفُ يُودَعُ مُكتئباً نحوَ غيابٍ نسبيّ
وخريفٌ يُقبِلُ نحوَ متاهاتِ التحويلْ
وتناقُضُ ينفِي الآخرَ للآخرْ
الريحُ تُلاعبُ أشجارَ الشوحْ،
قُربَ جِدارِ البيتِ المُتصدِعِ منْ ملحِ الأرضِ
البيتُ الساكنُ في صمتٍ مطبِقْ
يتقلبُ في التحويرْ
تغسلُهُ الأمطارْ

.. ..

(*) Sarpsborg مدينة تقع شرقاً على الحدود لنرويجية مع السويد

الريحُ الضاحِكُ منْ فَرحٍ لشتاءٍ ثلجيٍّ قادمْ
البيتُ الرابضُ ما بينَ الصِفصافِ الناعِسْ
تتدلَى منْ نافذتِه الشرقية
أشرطةُ الشعرِ المَلويَّة
في نافذةِ البيتِ فتاةٌ شقراءُ تلُاعبُ قِطاً يَبدو فَزِعاً
وضفائرُ منْ ذهبٍ اصفرْ ترقدُ فوقَ الكتِفينْ
الأنفاسُ تلُاعبُ ريحاً منْ موجاتِ خَريفٍ غاضِبْ
وخريفٌ يتلمسُ ظِلَ الأشجارِ الفَوقية
وخريفٌ يتدثرُ بالأوراقِ المُلقاةِ على الأرصفةِ
الإسفَلتية

2 - **المشهدُ الأول**

الريحُ مجساتُ القلقْ الإنساني في التّغريبْ..
سنجابٌ فوقَ الشجرةْ
سنجابٌ لا يخشَى بردَ خريفِ القُطبِ، ويخافُ غُرابُ
«العَقعقْ(*)»

(*) طائر العقعق هو صغير أو متوسط في الحجم وهو من الطيور التي تنتمي إلى أسرة الغراب، يوجد حوالي 15 نوعا من طيور العقعق

سنجابٌ يتقافَزُ منْ غُصنٍ للغُصنِ الآخرْ
يبدو وَحيداً وحَزيناً
أو أني أحُسُ بهِ
قدْ يحزنُ مثلي للأوراقِ الصفراء
أو منْ شجنٍ في الأرضِ القُطبيةْ
والأغصانُ تميلُ نحوَ يبوسٍ كُلي..
تنتظرُ البردَ القارِضَ مَوجوداتُ الأرضِ
الأشجارُ على مَقرُبةٍ منْ بيتٍ قابِضٍ في الوِحدة،
تبدو مِثلُ عجوزٍ مَشلولة
وخريفٌ ينتظرُ الظُلمةَ في قلبٍ حادْ..
الحُزنُ خَريفٌ دائمْ
يتتبعُ سِنجابُ الغابةِ عُشَ غرابٍ " عَقْعقْ "
خوفاً منْ هجماتٍ مُرتدةْ
السنجابُ المألوف على البيتِ القابِضِ للوِحدة
يخلدُ منْ ريحِ خريفٍ مُعتمْ.

يهدأُ في البيتِ المُظلِمْ
تغسلُه الأمطارْ
ينتظرُ الإعصارْ

3 – المشهد الثاني

أصواتُ البطِ البريّ
تبدو مثلُ رنينِ الأجراسْ
وبُحيرة عندَ حوافي الشارِعِ مَهجورة إلا مِنْ بعضِ
شُيوخٍ بالسناراتْ
الشارعُ يمتدُ طَويلاً نحوَ الغابة
مِنْ مقبرةٍ وكنيسة بروتستانتية في « ساربسبوك»

.. ..

الريحُ تعُانِقُ ناقوساً شاهقْ في الأعلى
الأصواتُ الترتيلُ الخافتُ تسمعُ موجاتٍ مِنْ نوتاتِ
حَزينة
تنعِي المَصلوبْ

نعيٌ يتعانقُ مع حُزني المَكبوتْ
أتلمَسُ فيهِ خَريفاً
أتلمَسُ حُزناً مألوفاً طولَ سِنينِ العُمرْ
أتلمَسُ أنْ تبكِي أشخاصا ماتوا مُنذُ قُرونْ
عشراتُ ملايينٍ قُتلوا دونَ بُكاء

.. ..

4 - **المشهد الثالث**

والآنْ! ما معنى أنْ يأتي خريفُ خلفَ خريفْ؟
وتعمُ الفوضَى..
ويعمُ التنظيمْ
ولماذا يرحلُ عنَّا الإحساسُ الدافئُ بالحبِ؟
لكنْ تبقى الإلفة في الإنسانِ الإنسانْ
وكمَا نَحنُ على مَقرُبةٍ من اقربِ إنسانٍ يتجددُ في المنفَى
ويقولُ السجعُ الشعريُّ
ماذا تعملُ في هذا الجو المُبهمِ؟

ريحٌ، مطرٌ، شمسٌ، وغُيومٌ ترحلُ معكوسةْ

أأنتَ مُقيمٌ!

أمْ أنتَ الراحِلُ تبحثُ عنْ مأوَى في هذا الرقمِ

الترتيبِ !

5 – المشهد الرابع

قالتْ: يا قمري، الريحُ كما السيفِ

فاقتربْ منِّي، حتى لا تتقسمَ نصفينِ

ولعلَ عِظامِي،

تتخلصُ من بردٍ مَهووسٍ بالريحِ

الريحُ خريفيةُ

والأمطارُ سخية..

شباكُ الغُرفةِ مَخبولٌ في الخارجِ، يتطلعُ نحوَ بحيرةِ منْ

بطٍ بريٍّ

وكلابٌ تجري تنهشُ في كلِ مكانٍ

وطيورُ النورسِ تُطلقُ أنغاماً، وتُطارِدُ طِفلاً في يدهِ

خُبزاً

الطفلُ شُجاعٌ مُتمردْ

طفلٌ يتمسكُ بالثدي الأبيض

.. ..

البُعدُ الامثلُ للقصاصاتِ الوَردية

وخريفٌ يجلسُ عندَ بُحيرةِ صيدِ الأسماكِ

الجمعُ المُترقِبُ قُربَ السُفنِ السِحرية

سفنٌ تبرحُ للشرقِ

سفنٌ تمخُرُ للغربِ

سفنُ عطلَها البحرُ الهائجْ

.. ..

الطفلُ شجاعٌ لا يأبهْ، ويُدافعُ عنْ خُبزِه

لتكنْ أنتَ شُجاعٌ مثلُ الطفلِ

لا تتراجعْ عنْ إيمانِك

النفيُ سيكونُ المِضمارَ الأطولَ في الخلقِ

الاضمحلالُ مبادئُ رقمية

أصبحَ غُولاً

جُرحاً غائرْ

زمنٌ سِافلْ

لكنْ مَنْ يدرِي؟

فخريفُ العمرِ بقايا مِنْ ذِكرَى ونُواحْ

6 – المشهد الخامس

زمنٌ

نذلٌ

أدمى قلبي الملسوعَ مِنَ القُربى

في صوتٍ ناهرٍ ومتاهةْ

زمنٌ يرحلْ

زمنٌ

قادمْ

زمنٌ فائضْ

زمنٌ ناقِصْ

لكنْ مَنْ يدرِي؟

صيفٌ يبعدُ عنْ أجسادِ الناسِ

وربيعٌ يقدمُ مِنْ خلوتِهِ.

7 – المشهد السادس

تكتظُ مقاهِي ساربسبورك،

بالجنياتِ الحلواتِ

يتجنبنَ رياحَ البحرِ المُمتدِ إلى القطبِ

البيتُ القابِضُ في الوِحدة

ذو الجدرانِ الملحيَّة

يتقلبُ في التحويلْ

بخريفٍ قاسي

يقتلُ أوراقَ الأشجارِ

تَصفحُها الريحُ على الأرصفةِ الإسفلتيةِ والبُنيةْ

وحوافي البيتِ القابضِ للوحِدة

ويبوسٌ يشملُ ارضٍ خضراء

وخريفٌ عالِقُ بالأحياءِ وبالدورانْ

قانونٌ ينفِي قانونْ..

ويُراكمُ فينا خُيوطَ الحكمةْ!

2018 / 9 / 1

35 - المحطة الغريبة

غادرتُ قاطرةَ الذهابِ
ونويتُ أنْ أراقبُ الكلامَ
عجبتُ منْ نفسي ومنْ نفسي خشعتْ
وقلتُ إني جالسٌ هُنا
أبحثُ عنْ وجهٍ بلونِ الأقحوانِ
لعلَه يمرُ فجأةً
فأستغيثُ بالزمانِ
أشيعُ ناظري واتركُ المحطة
لكنَّ وجهي ظلَ كالمسمارِ في حجرِ الصوانِ
يلوِّحُ كالعنقاءِ منْ بعيدْ
كطائرِ الإسفارِ في انبعاثِه الجديدْ
لا ريشٌ لا جنحٌ ولا منقارُ في الهبوبِ

في دربهِ المركونِ

يلوحُ كالثعبانِ

كهيكلٍ مُستهلكٍ مرعوبِ.

يا صاحبي.. هذا القطارُ لنْ يمرُ في المحطةِ الغربية

لأنَّني مِسمارُ جُحا المُستميتُ

ولأنَّها صارتْ مِنَ الآثارِ في الغبارِ

والسكة الحديدْ

تلكَ التي كانتْ تصلُ كركوكَ أو أربيلَ

قدْ تمَّ خلعَها، وباعها سعدان(*) دينُنا الجديدِ

في المزادْ..

وهُدِمتْ نوافذُ البنايةِ العتيقة..

يا صاحبي .. صبرتُ لا انوي الذِهابْ

وإنَّما الرجوعْ

لكنَّني مُصرٌ في المحطةِ القديمة

(1) السعدان نوع من القرود الصغيرة الحجم

أستحلبُ الوجوه

مِنْ كانَ يا مكانْ

ومَنْ عَزَفْ في الدورانْ

منْ تركَ عرافة السؤالْ

أينَ صفتْ أجسادُنا البرهانَ في معالمِ الزمانْ؟

.. ..

يا صاحبي قدُمتْ من خلفِ المنازلِ العتيقة

كي اثبتَ البُرهانْ

وقادني شِراعُ عنكبوتُ

للساحةِ الصغيرة

رأيتُ سَعداناً على الشِعارِ

فقالَ لا تحزنْ على رؤاكْ

أصعبُ ما عندي غباكْ

وأنتَ تبحثُ عن جناحٍ

كأنَّها، ضلوعُ شارعُ الكفاحْ
ها أنَّني يا صاحبي في ساحةِ المحطةِ الغربية
كالنُصبِ من حجرِ الصوانْ
أنتظرُ الإشارة

1/1/2003

36 - هندال البصرة مطلوب

قفْ.. لا تتحركْ إلا من ثقبِ الإبرة
وانظرْ كمْ من زرافاتِ البطِ البريِّ
تهجرُ ذاكَ النهرِ الجافْ
وتسافرُ تبحثُ عنْ ماءْ
الماءُ «جلجامش» يطفو فوقَ هبوبِ الروحْ
*وأرورو، تخلقُ انكيدو لبدائلِ أُخرى
معقولٌ، تأتي «كوكوكتي» لشباكِ الغرفةِ
تُذكر، تصدحُ بالصوتِ المسحورِ «وَين أختي»
وطيورُ الغاباتِ تبحثُ عنْ بُرعمْ
يتوالدُ في جوفِ الجُبِ
ونورسُ بحرِ الظُلمة،
يقدمُ منْ عُمقِ خليجٍ رائبْ
وإستقراء الإستقرارِ فوقَ رؤوسِ النخلِ

والحربُ تدورُ، ثُمَّ تدورْ

جماعاتٌ، وجماعاتٌ، وجماعاتٌ تتهجأ بدمِ الأطفالِ

تحملُ راياتِ المنفى بالنصرِ الموقوتْ

وهندِال(*) على الأبوابْ

منْ يتذكرُ بصرتَنا المُغناة

على صوتٍ منْ أوركْ

هندالٌ حيٌّ أو ميتٌ مطلوبْ!

هندال العمالِ على بابِكِ يا عِشتارْ

.....

«لا تستعجلي يا بَصرَتي

تعالي خلصي خاصرَتي»

فالوقتُ طَويلْ

والملموسُ يبشرُ أنَّ الماءَ يحيطُ الكونَ

وأنتِ حتى تنزفينْ..

أنَّ بُكاءَ الجدرانِ حنينْ

(*) هندال: اسم مناضل عامل في ميناء البصرة

منْ كانَ يُصدقُ أنَّ الثغرَ يابسْ، في عزِّ الإقْدامْ
وهذا الماءُ سليلُ التاريخْ
وواحاتُ الأقوامْ
يبقى في «الهوسات»
والهوساتُ ستصبحُ نوتاتٍ ثورية
قفْ.. وتذكّرْ ثغرٌ يغلقُ في البِلعومْ
أنَّ القادمَ أفضلُ وإنْ سادُ الطاغوتْ
فالنسبي موجودْ
يا بلدي المَشنوقُ على فجرِ التاريخْ
البصرةُ فخذُ مهروسٌ بفعلِ الطاغونْ
البصرةُ تنوءُ، بالماءِ المنحوسْ
وبفراراتٍ سُودٍ تقبعُ في الناموسْ
هندال الجالسُ ما بينَ الميناءِ وبين الشطِ المالحْ
سيقومُ.... فلهُ أبياتْ
ولهُ سلامٌ كالآياتْ

20 /7 /2018

37 - نصوص - خواطر متباعدة

1 - **صاحبي**

صغرتْ بيَ الدنيا فكيفَ مدينةُ النملِ
فلا تعجبْ منْ حصارٍ
ولا تغضبْ منَ الخيطِ
فحصارُ الفِكرِ أقسَى،
والجسدُ خاوي بِلا فِكرة
ولا تعجبْ منْ الماضي
فقسوةُ الماضي بما نملكُ في الحاضِرِ
منَ الفِطنةْ

2 - **في قسوةِ الوِحدة**

في وِحدتي
أرى ولا أرى
قممٌ منْ المأساةِ والألمْ

فأروضُ الصبرَ على صبرِي منَ الوجعْ

أحتجُ فِي نفسِي بلِا رُضوخْ

وأقولُ يا نفسِي اهدئي

وتعلَّمِي، وتفهَّمِي، ثُمَّ ابسطِي جناحَينِ لا رُضوخْ..

من وِحدتِي، سُبلَ الطريقِ

وروعةُ التطويقِ

لا تجزعِي، ويُصيبكِ الندمْ

وتعلَّمِي، سُبلَ القلمْ

فلا التطويقُ ينفعُ الرؤيا ويحجبُها منَ الخروجْ

ووحدتي تبقَى عَلمْ

يا ويلتْ الإحساسِ بالهربْ، إذا نسيتَ قسوةَ الطلبْ

يا روعَتي، إذا بقيتَ فِي النّجوَى

اذكرْ صدَى روحي

وأُغازلُ المنفَى القلمْ

فهو الطريقُ إلى الصوابِ

وتخلُصي منْ وحدتي

وإنْ أرى ولا أرى، وإنْ أطوفَ ولا أطوفُ في البلوَى

كلُ احتجاجِي في الخرابْ

يا بَلوتي منَ العذابْ!...

3 - **الزمان**

هوَ الزمانُ يدورُ كالنَّاعورِ زائرٍ

باقٍ وإنْ دبَّ عليه مُسافرْ

وجهٌ ينوحُ باكياً ومُغامرْ

وآخرٌ في دربهِ قُطبٌ مُغايرْ

يهتزُ ثُعبانُ الخداعِ مُقامِرْ

صَدّقْ ففي القِسمينِ ماهِرْ

إنْ جاءتْ الأقوالُ وافرْ

إنْ غابتْ الآمالُ عاقِرْ

هو الزمانُ واقفُ وطائرْ

4 - **قُلنا لهم**

في وقتِها قُلنا لهم لا تَعجبوا

أنَّ كلابَ الصيدِ صارتْ كالخنازيرِ

وانتحرتْ مِنْ قهرِهم ريمُ الفلا

وأصبحتْ غربانهمْ تفيقُ كالدجاجْ

وانكسرتْ شمسُ الضُحى مِنَ العجاجْ

وانكفأت قلوبُهم مِنَ النحيبْ

في وقتِها قُلنا لهم لنْ تفقهوا

جُرحُ الصدورْ كشفَ الخرابْ؟

هذا البكاءُ مِنَ السرابْ

قُلنا لهم مَنْ تَخدعوا، هذا هباءْ

5 – هجرَتنا تلكَ العصافير

يرحلُ الشتاءُ بصمتِ الشمسِ

تقدُمُ النساءُ إلى الحديقةِ النائية

يجلسنَ بِحشمةٍ فوقَ الكراسِي الخشبية

باردةٌ وخشنةٌ

مُسنةٌ تنعمُ براحةِ العمرِ في الثلجِ

ومُخدِرَاتٌ ينعمنَ بدفءِ اللّمسةِ

لم يكنْ البردُ إلا غطاءً للحركة

بينما الأُخرى وهي ترتشِفُ الفودكا الروسية

تضحكُ قائلةً: اجلسنَ فوقَ تلِ الثلجِ

كي تأتي عصافيرُ الدورِي

كي يأتي الربيعُ على قاطرةِ العمرِ

6 - وعدٌ

عفرتُ وجهكَ بالترابِ وقلتَ لي

جاءت إلى البابِ تبكي مُصيبَتي

فحملتُ في نفسي عتاباً أشرتُ بهِ

مُلهمتي لا تعتبِي فانا الضحيةُ والمُصابْ

وإنْ بلفتُ بوعدِكِ الكذّابْ

لا تفتحي جُرحِي فجُرحي في غيابْ

وتألمي شديدُ نزفِه لا عتابْ

وَعدِي إليكِ ككرمةٍ منها الشرابْ

7 - **مساحة ساحة**

مررتُ بالساحة

نزحتُ من جلدي الذي رَقَّمَه الوجعْ

أضفتُ فيه بقجة منْ عابراتْ

ذكرتُ ساحة وعابراً من نارْ

الساحةُ المطلةُ

قُربَ كنيسةِ الأرمنِ

ضجيجُها الناقوسْ

أينَ صفتَ لائحةُ الطيرانِ المدني؟

وقفتُ في استغرابِ ما رأيتُ،

ذاكرتي عندَ جدارية فائقِ حسن

منْ دمٍ مُراقٍ منْ عُمال

بما آلت إليه شُخوصُ الواقفينْ

احدُهم كانَ يسبُ الساسةَ العواهرَ

وآخرونَ يصرخونَ بالفسادِ يا فسادُ يا ناهبُ البلادِ

8 - **أمرُ التسليم**

سلَّمتُ الحقيبةَ باسِماً

ومشيتْ

كنتُ المُسافرَ دائماً

حيثُ المطباتِ الصِعابِ

ونسيتْ

إنَّ المحطاتِ التي في الجانبِ الغربي

لنْ تصمدْ في المسافةِ

فاستحيتْ

أواه، يا كهلُ الطفولةِ

كلُ حُسانُ الشاطئُ الممزوجُ بالفضِي

يسبحنَ تحتَ الشمسِ عرايا

فارهاتْ

وعلى البحرِ حوارِي

حلواتْ

مثلُ العسلِ الممزوجِ بالخمرِ

9 - **حقيبة**

حقيبتي الجِلدية

كاجوجةٌ (*) سِرية

لها منْ الزمانِ مظهراً مقلوبْ

يعِجُ في باطنِها المثقوبْ

بالوجوه

سرٌ أُذيعَ سرُه المعطوبْ

حقيبتي السرية

جوهرُها التغيُّبْ

مليء بالثقوبْ

وشكلُها التجريدْ

ليسَ لهُ حدودْ

(*) الكاجوجة: أداة تُنسج على ظهرها قطع متقنة الصنع بخيوط ألزري الفضية والذهبية والملونة،

عن الكاتب

مصطفى محمد غريب

– رئيس تحرير مجلة صوت الوطن (سابقاً).

نُشِرَعن حياته وقصائده في «معجم البابطيين للشعراء العرب المعاصرين» الذي صدر في الكويت عام 1995

– نُشِرَ عنه وعن شعره في الموسوعة الكبرى للشعراء العرب 1956 – 2006 في المغرب

– نُشِرَ عنه في معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002

عضو رابطة الكُتَّاب والصحفيين العراقيين (سابقاً)

عضو اتحاد الكُتَّاب الفلسطينيين (سابقاً)

عضو مركز الكُتَّاب النرويجيين (حالياً)

– موقعه الالكتروني سجل إلى شهر آذار 2019 إجمالي القراءات أكثر من (5،341،975) مليون زائر

صدرت له

1 – بلدي كردستان شعر – بيروت ــ سوريا 1982 . 1990

2 – سر الرحلات شعر سوريا – 1989

3 – سندخل مع القمر شعر سوريا 1990

4 – خيّالة الرياح شعر سوريا 1991

5 – الجدار – قصص صغيرة بيروت 1995

6 – أنشودة الوطن والمنفى مجموعة قصص قصيرة صدرت في بيروت مع عددٍ من الكتاب عام 1997

7 – ثم أصابه الزهري قصص صغيرة – بيروت 1996

8 – كان يا مكان – رواية – النرويج 2001

9 – المراحل والحلم – شعر ــ الطبعة الأولى النرويج 2001

10 – صباح الخير يا نونة شعر النرويج 2002

11 – بين النجوم تلألأت آخر نجمة ــ رواية ــ الطبعة الأولى النرويج 2003.

12 – بين النجوم تلألأت آخر نجمة رواية الطبعة الثانية بغداد/ دار الرواد 2004 . ترجمت إلى اللغة النرويجية

13 – المراحل والحلم شعر الطبعة الثانية ترجمت إلى اللغة النرويجية وطبعت باللغتين النرويجية والعربية من قبل المكتب الثقافي في اوسلو 2004

14 – بلدي كردستان الطبعة الثالثة.. وصباح الخير يا نونة شعر الطبعة الثانية النرويج 2003

15 – طرطميس رواية ــ نشرت في العديد من مواقع الانترنيت 2003

16 – الميراث شعر عمان الأردن أوائل 2004

17 – تأويلات القصائد في زمن الحرب والتجديد شعر عمان الأردن أواخر 2004

18 – تصدع في الطيران قصص قصيرة عمان الأردن 2006

19 – مرآة التأمل (Speil meditasjon) تموز 2013 مجموعة شعرية ترجمت إلى اللغة النرويجية وطبعت من قبل المكتب الثقافي في النرويج

20 – همٌ علمني شراكة الأسى .. شعر .. دار النسيم..مصر القاهرة 2016

21 – متاهات.. للخروج من الشرنقة – رواية ... أواخر عام 2016

22 – غائبون في قصر الملك -- قصص -- دار النسيم للنشر القاهرة 2017

23 – رواية معدة للطبع

24 – مجموعتان شعريتان معدتان للطبع

فهرس

1 – عودة إلى حَنينِ الخَلاص 5

2 – حتى تُولَد بَغدَاد كَعِشْتارِ الحُبّ 10

3 – صخَبُ التّحَولِ عن الضّبابْ 20

4 – ثقافة الإنتظار 26

5 – ألواح غياب ندا سلطاني 28

6 – كُلما أَمُدُ قامتي إلى العراقِ تَطولْ 32

7 – خُصوصيةُ الرجلِ في المَقهى المُظلِم 41

8 – يونُس دخيلِ الرِحلة في بطنِ الحوتْ 48

9 – سرُ البارِ الليلي المَسحور 54

10 – أنا لا أعرف هادي المهدي 61

11 – إلى نُجومِ العِراق في ساحةِ التحريرِ 66

12 – كُلَّما تشتاقُ ظُنوني 72

13 – بُيوتُ لَوائحُ الطينِ 76

14 – في البيئة شيطانٌ وملائكةُ بأجنحةٍ فضية 81
15 – صدَى يُضيءُ دمَ العِراقْ 86
16 – مُدنٌ ترحلُ في العُزلة 90
17 – لا تُسر المُفاجآت المُفاجأة 97
18 – مُناجاةٌ للعُسر 102
19 – أحجيةُ المسالِكِ العابِرة 103
20 – حبُ زمنِ التداولِ والتحول 108
21 ـــ سُنَنٌ تحتاجُ إلى تدويل في "ساربسبورك" 113
22 – العَبرات 120
23 – تناسُلُ النجومُ 123
24 – ملامِح غريبة 126
25 – غريبُ الوطنِ المفقود 130
26 – مساءُ الخيرِ يا مِنديلا الحُلمِ عَسِير 134
27 – مفاصل بيئية 142
28 – جيادُ النوارِسِ 145
29 – القطُ الغجَريُّ 148

30 – هو العِراق 151
31 – سيدتي خريفُ عُمُرِكِ المَرئي 155
33 – دمشقُ الحبّ والزيتون 161
34 – مدنٌ ترحلُ في العُزلة 166
32 – حُبُ زمنُ التداولِ والتحول 172
33 – محطات لنصوص شعرية 177
34 – عيونُ الخريفِ في مدينة ساربسبورك Sarpsborg 187
35 – المحطة الغربية 197
36 – هندال البصرة مطلوب 201
37 – نصوص – خواطر متباعدة 204
عن الكاتب 213

رقم الإيداع: 7774 / 2019

الترقيم الدولي: 8 – 293 – 838 – 977 – 978